مخطوط

(الألمام من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام)

لتقى الدين المقريزى

تحقيق

دكتور/ علاء الدين عبد العزيز أبو الحسن

مقدمة:

تعنى كلمة الحبشة فى العربية الخليط أو الأجناس المختلفة ، وقد بدأ اطلاق هذا الاسم ــ الحبشة ــ على تلك البلاد منذ أن بدأت تيارات الهجرة إليها من الجزيرة العربية عامة ، واليمن خاصة فى القرن السابع قبل الميلاد ، حيث أُطلق فى أول الأمر على طوائف المهاجرين ، ولكن نظراً لكثرتهم وأزدياد أهميتهم وتفوقهم على سكان البلاد الأصليين،وكذلك لتغلب لغات هؤلاء المهاجرين على اللغات الأصلية لتلك البلاد أصبح اسم الحبشة يُطلق على جميع المناطق[١].

فى حين يرى البعض أن اسم الحبشة مأخوذ من اسم أول قبيلة عربية هاجرت إلى الحبشة من الجزيرة العربية ألا وهي قبيلة حبشيت اليمنية، وهي قبيلة قضاعية[٢] هاجرت من حضرموت إلى شرق السودان واريتريا[٣] قبل ألف عام من الإسلام، وسيطرت على الجزر والمدن الساحلية لشرق السودان واريتريا واثيوبيا. [٤]

---

(١) محمد عبد الله: انتشار الاسلام فى شرق افريقيةومناهضة الغرب له.ط الرياض١٩٨٢م، ص٣٤. محمد عوض: الشعوب والسلالات الإفريقية ،ط.القاهرة ١٩٦٥م ،ص٢٤٢.

(٢) قبيلة قضاعة : هم أكثر العرب عددا وأشدهم بأسا وأوسعهم ديارا ،وهم فخائذ وبطون كثيرة ، منهم بنو جهينة ، وبنو بمراء ، وبنو نهد و بني زيد ، وبنو خولان ، وبنو سعد ، وبنو بلى ، وبنو مهرة ، وبنو كلب، و بنو عذرة, وغيرهم الكثير، وكانت قضاعة تسكن اليمن وشمال الجزيرة العربية والشام، كما رحل منها بطون لمصر. القلشقندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ط ١٩٨٢م ، ص ١٦٨.

(٣) اسم إرتريا مشتق من التسمية اليونانية للبحر الأحمر (Sinns Erythreum) سينوس إرتريوم، وتعني البحر الأحمر، وقد أطلق اليونانيون ذلك الاسم على إرتريا في القرن الثالث ق.م. تخليداً لاسم جزيرة تقع في الشاطئ الشرقي لبلاد الإغريق تحمل اسم إرتريا، كما أطلق الرومان نفس الاسم على البحر الأحمر عندما خضع لهم ميناء عدوليس التاريخي الشهير(جنوب مصوع الآن). وعندما احتل الإيطاليون إرتريا أطلقوا عليها اسم إرتريا تجديدا للتسمية القديمة، كما أطلق المؤرخون المسلمون على الإقليم أسماء عديدة مثل بلاد الزيلع وبلاد الجبرته، كما وصفها ابن حوقل ، وذكر أن بها كثيرا من المسلمين وعليها ملك عظيم، أما إرتريا في الوقت الحاضر فهى تقع فى الشمال الشرقي لقارة إفريقيا قبالة شبه الجزيرة العربية من الناحية الجنوبية، ويجاور إرتريا من الشمال والغرب جمهورية السودان، ومن الجنوب إثيوبيا وجيبوتي من الجنوب الشرقي. كما تطل على البحر الأحمر على مقربة من مضيق باب المندب .ابن حوقل النصيبى: صورة الأرض،ط.ليدن ١٩٣٨م،ص١٦٣؛يوسف محمد يوسف: الاسلام فى الحبشة، ط القاهرة ١٩٣٥م،ص ٢١.

Stuart Munro: An African Civilization of Late Antiquity. Edinburgh: . 1991.pp.21-23

(٤) اندرو بول : تاريخ قبائل البجاة ، ط القاهرة ١٩٥٦م، ص١٤٤.

أما عن أصل الحبشة فيرى المسعودى[١] أن أصل سكان الحبشة يرجع إلى أبناء كوش كنعان بن حام بن نوح حيث يقول " ولما تفرق ولد نوح فى الأرض سار أبناء كوش نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ، ثم أفترقوا ، فسارت طائفة بين الشرق والغرب وهم النوبة والبجة[٢] والزنج.ويواصل المسعودى[٣] حديثه عن أصل سكان الحبشة فيقول " وقطعت الزنج وسائر الأحابش الخليج المنفصل من أعلى النيل إلى بحر الزنج ــ نهر جوبا ــ فسكنت الزنج تلك الأصقاع.

فى حين يؤكد ابن حجر[٤] أن " الحبشة من ولد حبش بن كوش بن حام بن نوح "، وهم مجاورون لأهل اليمن يقطع بينهم البحر ، وقد غلبوا على اليمن قبل الإسلام وملكوها .

أما لفظ اثيوبيا فهو أسم قديم ، جاء ذكره فى كثير من الكتابات الاغريقية القديمة، وغيرها من المراجع التاريخية، ومعناها بالاغريقى الوجه المحروق ، ولقد أطلقتها بعض المراجع القديمة، وعلى رأسها العهد القديم على الممالك النوبية التى تأثرت بالحضارة المصرية القديمة.ولقد جاء كثيراً عن مؤرخى الاغريق القدامى أمثال هومير ، وهيرودوت ، والعالم الجغرافى سترابو وغيرهم من أن بلاد أثيوبيا تبدأ حدودها من مصر الجنوبية [٥].

ومن الصعب علينا معرفة الحدود الحقيقية التى تشمل مملكة الحبشة القديمة، إلا أنه يمكن القول أنها تقع على الهضبة المرتفعة ، ويطلق عليها اسم اثيوبيا الدولة الحالية بالاضافة إلى السهول التى تحيط بتلك الهضبة من شرقها وجنوبها، أما ما يتاخم البحار فتتكون منه الصومال الحالية ، وكذلك اريتريا فى الشمال ،بالاضافة إلى جزء من شرق السودان [٦] .

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط بيروت ١٩٨٨م ،ج٢ص٤.

(٢) البجاه :هى بلاد تقع جنوبى صعيد مصرفيما بين بحر القلزم وبين النيل ، وقاعدتهم سواكن على بحر القلزم، وهم شعب أصفى لونا من السودان، وهم مسلمون ونصارى.؛ الإصطخرى: مسالك الممالك ،ط .ليدن ١٩٤٧م، ص٣٥؛ القلقشندى : صبح الأعشى ،ط. القاهرة ١٩٣٨م،ج٥ص.٢٧٣ - ٢٧٤. اندرو بول : تاريخ قبائل البجاة ، ص٢١.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢ص٤..

(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى،ط١٩٨٦م،ج٣ص٦٣٩.

(5) ***Sir Willis Budge: History of Ethiopia ,London,1929,PP 129-142.***

(٦) مسعد بولس : أثيوبيا أو الحبشة فى منقلب تاريخها ط. ١٩٥٦م ،ص٤.

وكان الأحباش قد كونوا لهم في القرن السابع قبل الميلاد مملكة أكسوم وعاصمتها مدينة أكسوم التى تقع في الشمال الشرقي من إثيوبيا ، وكَانتْ واحدة من أوّل الأممِ التي اعتنقت المسيحيةِ واتخذتها ديناً رسميا لهم، ،وتتضارب الروايات التي تقرر كيفية دخول المسيحيةِ إلى الحبشة[١]، فيؤكد الكاثوليك أن أول من أدخلها هو "متى" صاحب الإنجيل بأمر من "بطرس" الذي بنى كنيسة روما، وذلك في عام٦٢م، بينما يؤكد الأرثوذوكس الأقباط أن من أدخل المسيحيةِ إلى بلاد الحبشة هو رجل يدعى "فرمنتيوس"، وهو الذي تم تعيينه من قبل "اثانيوس" بطريرك القبط الأرثوذوكس في الإسكندرية عام ٣٥٠م(٢)، ليكون أول مطران قبطي لبلاد الحبشة، ولتبدأ أولى حلقات الوصل بين كنيسة الإسكندرية ، وكنيسة الحبشة التى تُعتبر بمثابة وليدة لكنيسة الإسكندرية[٣].

ومهما يكن من أمر ،فقد ارتبط اسم الحبشة بأبرهه الأشرم الذى حاول غزو مكة المكرمة فى سنة ٥٧٠م قاصداً هدم الكعبة ، وتحويل الحجيج إلى كنيسته[٤] التى بناها فى صنعاء، صنعاء، فجاء بجيش تتقدمه الفيلة ، فأرسل الله عليهم طيراً تحمل حجارة لاتصيب أحداً منهم إلا وهلك، الأمر الذى أصاب أبرهه الحبشى فى جسده فمات[٥].

كما كانت أول هجرة فى الأسلام إلى الحبشة عندما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء على أيدى قريش، فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة وقال لهم: "لو خرجتم

---

(١) رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، ط. القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٦-١٧.

Sir Willis Budge: History of Ethiopia ,p.139

(٢) فتحى غيث : الحبشة عبر التاريخ ،ط القاهرة ١٩٧٥م ص١١.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام، ط القاهرة١٩٩٤م،ص٢٥٧-٢٦٠.

(٤) بنى أبرهه بيتاً من الرخام الأبيض والأسمروالأصفر، وحلاه بالذهب والفضة، ورصعه بالجواهر،وجعل أبوابه من صفائح الذهب ، وأمر الناس بحجه وسماه القليس، وكتب إلى النجاشى " إنى بنيت لك كنيسة ما لإحد من الملوك مثلها،أريد أن أصرف إليه حج العرب" وما زالت الكنيسة ما زالت باقيةالآن .القزوينى: آثار البلاد وأخبار البلاد ،ط بيروت 1848م،ص١٢-١٣.

(٥) المسعودى: مروج الذهب،ج٢ص٧٧. ابن حجرالعسقلانى : فتح البارى شرح صحيح البخارى،ط١٩٨٦م،ج٣ص٦٣٩.

إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا ـــ يقصد النجاشي ـــ لا يُظلَم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه"، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم إلى أرض الحبشة، فكانت أول هجرة فى الاسلام إلى الحبشة[١].

ومن ناحية أخرى ، لم تكن الحبشة ضمن الممالك التى وجه المسلمين إليها حملاتهم فى عصر الفتوحات الاسلامية ، ويبدو أن ذلك راجع إلى عدة عوامل منها تركيز المسلمين على كسر شوكة الامبراطورتين الساسانية والبيزنطية المتجاورتين لبلاد العرب ، واللتين يُخشى منهما على الدولة الاسلامية الناشئة ، اضافة إلى وعورة أرض الحبشة وصعوبة مسالكها[٢].

وفى الوقت التى اكتسحت فيه جيوش المسلمين فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب بلاد الشام والعراق ومصر وفارس أخذوا فى أحتلال بلاد الحبشة أقتصاديا ، فتدفق سيل التجار المسلمين على سواحل الحبشة، وكلما توغل تجار العرب فى داخل البلاد الحبشية ،كلما صادفوا مزيداً من الخصب، وأعتدالا فى الجو يرغبهم فى الاستقرار بتلك البلاد[٣]. وسرعان ما استقروا، واختلطوا بأهلها ، واستوطنوها شيئاً فشيئاً فأخذوا جزيرة دهلك[٤] ثم مصوعاً وزيلع ، ودأبوا على ذلك حتى أصبحت جميع سواحل الحبشة فى قبضة أيدهم ،وأدخلوا فى الاسلام الكثير من القبائل الوثنية[٥] .

وقامت هناك أول دولة اسلامية فى الحبشة وجعلوا قاعدتها "أوفات " أو جبرت[٦]، فنظموا إدارتها وأحكموا أمرها فأطاعهم أهلها ، وأخذ سلطانهم يقوى ونفوذهم يمتد ، وملكهم

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ط دار المعارف، ج١ص٥٤٦؛ المسعودى: مروج الذهب،ج٢ص٧٨؛ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ط بيروت١٩٨٧م، ج٢ص٧٦-٧٨. ارنولد توماس : الدعوة إلى الاسلام ، ط. القاهرة ١٩٧١م، ص٣٨ .

(٢) حسن أحمد محمود :الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص ٤٢٧.

(٣) فتحى غيث : الحبشة عبر التاريخ ، ص٤٢.

(٤) جزيرة دهلك : اسم أعجمى معرب وهي جزيرة في بحر اليمن بين بلاد اليمن والحبشة ، وذكرها ابو الفد بأنها مجموعة من الجزرلصاحب اليمن وأشهرها وأكبرها جزيرة كمران ،وهى قريبة من زُبيد اليمنية.ياقوت الحموى : معجم البلدان،ط بيروت١٩٨٦م،ج٢ص٤٩٢ ؛أبو الفداء : تقويم البلدان ، ط . باريس ١٨٣٠م، ص١٥٥.

(٥) محمد عبد الله محمد : انتشار الاسلام فى شرق إفريقية ،ص١٤١.

(٦) اليعقوبى : البلدان ، ط دمشق ١٨٥٠م، ص١٦١

يتسع، ولم يأت القرن الثامن الهجرى(الرابع عشر الميلادى) إلا وكان لهم فى الحبشة سبع ممالك سميت بالطرازالاسلامى، لأنها كانت كالطراز على سواحل البحر الأحمر، وكانت فى هذه الممالك مساجد وجوامع تقام فيها الجمعة والجماعة،وكانت تتمتع بقدر كبير من الخير والرخاء[١].

ورغم أن الحبشة كانت أول من هاجر إليها المسلمين فى الهجرتين الأولى والثانية، وأحسن النجاشي استقبالهم وصدقهم، ثم آمن النجاشي بالإسلام، واختلف مع بطارقته وقساوسته الذين أضمروا الحقد والحسد على المسلمين والإسلام، إلا أن هذا الحقد والبغضاء أصبح ميراث الكنيسة الحبشية التي تحرض القساوسة والرهبان الأحباش على نقله وتوريثه من جيل إلى آخر[٢].

أما الإمارات الإسلامية التى كانت تجاور مملكة الحبشة والتى تناولها المقريزى فى كتابه " الألمام بأخبار بمن فى أرض الحبشة من ملوك الاسلام ، فقد نشأت من الهجرة التدريجية من الجزيرة العربية إليها، منذ القرن الأول للهجرة وقد أسسها قوم من قريش من ولد عقيل بن أبي طالب قدموا من الحجاز ،واستوطنوا أوفات المدينة التي تقع غربي زيلع اليوم، ،وظهر من بينهم فى عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م زعيم اسمه عمر ولقب ولَشْمَع، وقد حكم أوفات ، واعترف به النجاشي ملك الحبشة الذي كان يلقبه المسلمون «بالحَطِّي»، فى الوقت الذى وافق النجاشى أن يكون الحكم لأبناء عمر من بعده.

وقد حظي سلطان أوفات بالاحترام من سلاطين الإمارات الإسلامية الأخرى، فانقادوا له وأطاعوه، وتزعمت أوفات حركة الجهاد الإسلامي في الحبشة، فدخلت فى حروب مع الحطّى ملك الحبشة المسيحية استمرت هذه الحروب منذ أواخر القرن السابع للهجرة(الثالث عشر الميلادى) وحتى أوائل القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى).

ويعتبر مخطوط المقريزى فى أخبار الحبشة المصدر الوحيد الذى أرخ لتلك الفترة لقيام إمارة زيلع الاسلامية فى بلاد الحبشة واصفاً ملوكها وأهم مدنها والحروب التي خاضوها مع

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الأنشاء ،ط. القاهرة ١٩٣٨م،ج٥ص.٣٠٥.
(٢) فتحى غيث : المرجع نفسه ، ص٤٢.

مملكة الحبشة المسيحية.وتحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة من هذا المخطوط، كما يوجد منه نسخة آخرى بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، بالاضافة إلى نسخة المكتبة الأهلية بباريس . وقد اعتمدت فى تحقيق هذه المخطوطة على النسختين اللتين تحتفظ بهما كل من دار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية.

ترجمة المؤلف:

هو الشيخ العلامة المؤرخ المقريزي تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن تميم الحسيني الشافعي ، ويرفع أبو المحاسن نسبه إلى على بن أبى طالب عن طريق الخلفاء الفاطميين[١].والمقريزى علم من أعلام التاريخ،وعمدة المؤرخين المصريين ،عُرف بالمقريزي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة ، ويقال أن جده كان من كبار المحدثين فى بعلبك ببلاد الشام [٢]،وأن والده ذهب إلى القاهرة حيث ولى بها بعض الوظائف الهامة كالقضاء، وكتب التوقيع فى ديوان الإنشاء، وقد وُلد المقريزي بحارة برجوان بالقاهرة[٣]بعد سنة **760 هـ(١٣٥٨م)** حسبما يذكر هو عن نفسه [٤]، فى حين ذكر ابن حجر[٥] أن مولده كان في سنة **766هـ(١٣٦٤م)**كما رآه بخط المقريزي نفسه.ونشأ فى القاهرة نشأة حسنة ، فحفظ القرآن الكريم ، وسمع من جده لأمه الأحاديث وغيره من كبار المحدثين[٦].وفى سنة إحدى وثمانمائة للهجرة ولى حسبة القاهرة غير مرة، ثم ولى الخطابة بجامع عمرو وبمدرسة السلطان حسن ، والإمامة بجامع الحاكم بأمر الله وقراءة الحديث بمسجد المؤيد شيخ، ثم تولى النظر فى وقف البيمارستان النورى بدمشق[٧].

---

(١) أبو المحاسن ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، ط القاهرة ١٩٨٧م،ج١٥ص٢٢٦.

(٢) أبو المحاسن : الدليل الشافى على المنهل الصافى، ط القاهرة١٩٩٨م،ج١ص٦٣

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الخلفا،ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٢٧.

(٤) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،ط. بيروت ١٩٩٢م،ج٢ص٢١.؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١٥ص٤٩٠.

(٥) ابن حجرالعسقلانى : إنباء الغُمر بأنباء العُمر، ط .القاهرة١٩٩٤م، ج٤ص١٨٨.

(٦) السخاوى : الضوء اللامع ، ج٢ص٢١.

(٧) السخاوى : المصدر نفسه ، ج٢ص٢٢.

وكانت الفترة التى عاش فيها المقريزى فى أخريات القرن الثامن والنصف الأول من القرن التاسع الهجرى(الخامس عشرالميلادى) من أحفل الفترات التاريخية بالعلماء وأزخرها بالمدارس ودور الكتب ، وأملئها بحلقات الدروس والمناظرات تلك الفترة التى يطلق عليها مؤرخو الآداب العربية العصر المملوكى[١] ؛وهو العصر الذى حفلت فيه مصر والشام بشتى المعارف والفنون والآداب ؛بعد أَن تقوض صرح الخلافة العباسية ببغداد ،وهجرها العلماء والشعراء نتيجة لغزوة التتار المعروفة فى التاريخ، وهرعوا إلى دمشق وحلب والقاهرة والإسكندرية ؛وأَخلدوا إلى حياة علمية خصيبة فى ظل الملوك والأمراءٍ فى هذه البلاد. [٢]

وخير دليل علي أزدهار الحياة العلمية في عصر المماليك هو الثروة العلمية التي وصلتنا من ذلك العصر بالذات ، فمازالت دور الكتب في جميع أنحاء العالم مشحونة بمئات المخطوطات التي ترجع إلي عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) والتي تناولت معظم الوان المعرفة من أدب وتاريخ وجغرافيا وعلوم دينية وطب ومعارف العامة وغيرها. [٣]

وكان المقريزي محل احترام رجال الدولة في عصره ،وكانوا يعرضون عليه أسمى المناصب فكان يجيب مرة ويرفض أخرى، فأعرض عن كل مظاهر الحياة وأبهتها عندما بلغ الخمسين من عمره، وتفرغ للكتابة، وزهد في الوظائف العامة وفرّغ نفسه للعلم ،وكان ميله إلى التاريخ أكثر من غيره حتى اشتهر ذكره به وبعد صيته، فألف كثيراً،وأجاد في مؤلفاته التي شملت شتى ألوان المعرفة. وتكمن أهمية المقريزي التاريخية في ارتياده أنواعٍ جديدة لم نألفها من أسلافه في البحث التاريخي[٤].

فقد وجه اهتمامه شطر التاريخ الاجتماعي للشعب المصري، وعادات الناس اليومية وتقاليدهم. كما قدم القاهرة القديمة وخططها وأحيائها وتطورها الجغرافي وما حوت من مساجد وبيوت وأسواق ومدارس وحمامات. قدم لكل ذلك صوراً حية نابضة متابعة ، كما

---

(١) شاكرمحمود : التاريخ والمؤرخون،ط.القاهرة١٩٨٧م،ص٥٥.
(٢) ابن حجر : إنباء الغُمر بأنباء العُمر، ج٤ص١٨٨.
(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، ط القاهرة ١٩٧٦م، ج١المقدمة.
(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا بذكر الائمة الخلفا، ج١ ص٢٢.

تناول بعض الظواهر الاقتصادية والاجتماعية الخاص مستخدمها منهجاً شمولياً في معالجتها. ولذا غدت مؤلفاته قبلة للباحثين في آثار مصر الإسلامية وتاريخها وحضارتها[١].

وقد احتل المقريزي مركزاً عالياً بين المؤرخين المصريين في النصف الأول من القرن التاسع الهجري(الخامس عشرالميلادى) ، حيث أن معظم المؤرخين الكبار كانوا تلاميذ المقريزي، مثل أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي مؤلف الكتاب التاريخي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، والسخاوي صاحب الضوء اللامع، والتبر المسبوك، وغيرها من الكتب[٢]، ورغم أن السخاوى كان يتهمه بعدم الإتقان فيما يرويه من الحوادث عن المتقدمين، إلا أن أغلب المؤرخين لم يعولوا على ما ذكره السخاوي فيه لأن آثار المقريزي شاهدة له بالعلم والفضل. [٣]

واستحق كتاب المقريزي السلوك لمعرفة دول الملوك المكانة الأولى بين كتب التاريخ في عصره، فهو كتاب من أبرز كتب التاريخ المصرى الوسيط أتم به المقريزى سلسلة التواريخ المصرية بجمع وتسجيل أوسع ما وجد من معلومات حول عصرى الدولتين الأيوبية والمملوكية من سنة ٥٦٧هـ حتى السنة التى سبقت وفاته وهى سنة٨٤٥هـ[٤]. اعتمد المقريزى على عدداً من المصادر السابقة له ، بل ومن عاداته ذكر هذه المصادرأوالإشارة إليها .ونستطيع أن نرى لديه بعضاً من ابن الفرات وابن أيبك وبيبرس، ومن الدوادارى والنويرى والجزرى والبرازلى ونصوصا من ابن واصل وابن عبد الظاهر[٥] .

وقد جمع المقريزى هذه المصادر فى براعة طيبة وسداداً فى تخير المعلومات،وعينا ذكية تعرف كيف تسوقها وتربطها،وحساً تاريخياً يهديه إلى المعلومات والتفاصيل الضرورية، والمكملة .وربما وصل المقريزى فى هذا الشغف التاريخى حد الثرثرة بأمور يعتبرها معاصروه من المعارف

---

(١) الصيرفى: نزهة الأبدان والنفوس، ط.القاهرة١٩٩٤م،ج٤ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢) شاكرمحمود : التاريخ والمؤرخون، ،ص٥٥.

(٣) المقريزى:السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط بيروت ١٩٩٧م ،ج١ص٢٦.

(٤) شاكرمحمود : التاريخ والمؤرخون ،ص٥٦.

(٥) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ص٢٧.

الدارجة التافهة، ولكنها أضحت بالنسبة إلينا اليوم ثروة تاريخية كشفت لنا جوانب كثيرة من مشاكل العصر فى النقود والأسعار والهدايا والأوبئة والمكوس [١].

ومكتبة المقريزي عامرة بالمؤلفات نذكر منها " الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ". وكتابه " إغاثة الأمة بكشف الغمة " ، والذى تحدث فيه عن الأزمات الاقتصادية والمجاعات التي عاشتها مصر، ليصور لنا ما لاقته معظم فئات الشعب والجماهير المصرية من ضروب المحن والمآسي، في غفلة من الحكام، الذين فضل معظمهم الابتعاد عن الجماهير، وجعلوا كل همهم في جني الأموال وتحصيلها والإكثار منها[٢].

أما مؤلفه اتعاظ الحنفا بأخبارالأئمة الفاطميين الخلفا الذى يعتبر أوفى مصدر في التاريخ الفاطمي، بل موسوعة لهذا العصر ، فضلا عن بعض المؤلفات الأخرى العديدة منها: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب .وكتابه المقفي وهو كتاب في تراجم أهل مصر والواردين إليها حافل في تراجم الملوك والأمراء والعلماء المصريين،وكتابه المواعظ والإعتباربذكرالخطط والآثار والمعروف باسم الخطط المقريزية[٣].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الأعمال للمقريزي ، قد تمت ترجمتها ونقلها إلى لغات غير العربية، فقد قام المستشرق كواتر مير **(Qwatere Mere)**بترجمة قسم كبير من كتاب السلوك للمقريزي، وبخاصة ما يتعلق بمرحلة حكم المماليك لمصر، ثم تابع بلوشيت **Blochet**الترجمة وأكمل ما جاء به كواتر مير في عام**1908** م ، حيث كتب عن تاريخ مصر وفقاً للمقريزي [٤].

---

(١) المقريزى: المصدر نفسه ، ج١ص٢٨.

(٢) المقريزى: إغاثة الأمة بكشف الغمة ،ط القاهرة ١٩٩٩م، ص٩-١١.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، ج١ص٢٢

(٤) شاكر محمود : التاريخ والمؤرخون ،ص٥٦.

وإذا كانت مولد المقريزى محل اختلاف بين المؤرخين ، فإن وفاته محل اتفاق، حيث توفي في مصر رمضان سنة 845هـ (١٤٤١م) بالقاهرة ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بمقابر الصوفية[١] خارج باب النصر[٢].

(١) مقابر الصوفية : مكانها اليوم المقابر المعروفة بجبانة باب النصر ، وقد أنشأها صوفية الصلاحية سعيد السعداء على قطعة أرض تبلغ قدر فدانين من ميدان القبق ، وأداروا عليها سوراً ليدفن فيها من يموت منهم ،ثم أضافوا عليها فى سنة ٧٩٠هـ قطعة أرض أخرى ،وأصبحت مزاراً.على مبارك : الخطط التوفيقية،ط القاهرة١٩٩٢م ج٢ص٧١، أبو المحاسن: حوادث الدهورفى مدى الأيام والشهور، ط القاهرة ١٩٩٠م، حاشية رقم٢ص ٣٩.

(٢) أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ،ح١٥ص٢٢٦، الصيرفى: نزهة الأبدان والنفوس، ج٤ص٢٤٣،ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ط بيروت ١٩٨٨م، ج٧ص٢٥٥؛ ابن حجر : إنباء الغُمر بأنباء العُمر، ج٤ص١٨٨.

مخطوط

(الألمام من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام)

لتقى الدين المقريزى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد، فهذه جملة من أخبار الطائفة القائمة بالملة الإسلامية ببلاد الحبشة المجاهدين في سبيل الله من كفر به، وصد عن سبيله تلقيتها بمكة شرفها الله تعالى أيام مجاورتي بها في سنة تسع وثلاثين وثمانى مائة من العارفين بأخبارهم، والله أسأل التوفيق إلى سواء الطريق بمنه وكرمه.

ذكر بلاد الحبشة[١]:

أعلم أن بلاد الحبشة أولها من جهة المشرق المائل إلى جهة الشمال بحر الهند[٢] المار من باب المندب إلى بلاد اليمن، وفيها يمر بحر حلو[٣] يقال له سيحون[٤].

---

(١) ذكر اليعقوبى الحبشة بأنها بلاد متصلة بالبحر مقابل اليمن، بينما حدد الأصطخرى بلاد الحبشة بأنها تقع على بحر القلزم، وتحدها شرقاً بلاد الزنج والبرية التى بين النوبة وبحر القلزم ، ويحدها شمالاً بلاد البجاه ، وهى بمحازاة بلاد اليمن؛أما ابن حجر فقد اكتفى بوصفها بأنها " تقع بالجانب الغربي من بلاد اليمن ، ووصفها القلقشندى بأن أول حدود الحبشة من الجهة الغربية بلاد التكرور مما يلى اليمن ، وأولها من الجهة المائلة للناحية الشمالية بحر الهند واليمن كما ذكرها بأنها بلاد عظيمة جليلة القدر فسيحة الأرجاء وأرضعها صعبة المسالك لكثرة جبالها الشامخة، وعظم أشجارها، واشتباك بعضها ببعض .اليعقوبى : البلدان ، ص١٥٣؛ الإصطخرى: المسالك والممالك،ط.ليدن ١٩٣٧م ص١١ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٠٢-٣٠٣. ابن حجر : فتح البارى شرح صحيح البخارى،ج٣ص٦٣٩.

(٢) يقصد خليج عدن الآن، وهو يقع في المحيط الهندي بين الساحل الجنوبي لليمن والشرقى للصومال في القارة الأفريقية .صلاح الدين الشامى: جغرافية السودان، ط١٩٧٢م،ص١١٤.

(٣) الحُلْوُ، بالضم: ضد المُرِّ وهو أيضا كل ما حَلاَ في الفَمِ، وحَلِيَ بالعَيْنِ. وكذا حَلِيَ منه بخَيْرٍ وحَلاَ: أصابَ منه خَيْراً.، وهنا يقصد الماء العذب.ابن منظور: لسان العرب ، ص١٠٤٥.

(٤) الكتاب المقدس يقرر أن نهر جيحون يقع في إفريقيا لأنه يحيط بالحبشة أو أرض كوش وأرض كوش طبقا لقاموس الكتاب المقدس هي بلاد الحبشة ،وأغلب الظن أن المقريزى هنا قصد بسيحون بأنه النيل الازرق ، الذى يعتبرونه فى بلاد الحبشة من الأنهار المقدسة ،أما نهرا جيحون و نهر سيحون فيقعان فى بلاد ماوراء النهر، هي منطقة تاريخية وجزء =من آسيا الوسطى ، ترجع تسميتها بهذا الاسم عندما فتحوا العرب المسلمون تلك المنطقة في القرن الهجري الأول ثم

يُرفد[١] "منه "[٢] نيل مصر، وجهة الحبشة الغربية تُنهى إلى بلاد التكرور [٣] مما يلي جهة اليمن، وأولها مفازة بمكان يسمى "وادى بركة [٤] يُتوصل إلى سحرت [٥]، وكانت مدينة المملكة في القديم ،ويقال لها أحسرم، ويقال لها أيضا زرفرتا [٦] ،وبها كان النجاشي ثم إقليم أمحـــرا [٧]، وهو الآن مدينة المملكة ، وتسمى أيضا مرعدى [٨] ثم أقليم شاوة[٩] ثم إقليم لامنـــان ثـــم

اطلقوا عليها اسم بلاد ما وراء النهر إشارة إلى النهرين العظيمين الذين يحدانها شرقا وغربا..شهاب الدين أحمد: فتـــوح الحبشة،ط. ١٩٧٤م،ص١٣؛ فتحى غيث: الحبشة ، ص٦٨-٧٧.عصام عبد الرؤف: الدول المستقلة فى المشـــرق، ط القاهرة ١٩٩٩م، ص١٩٢.

(١) وردت " يزيد " فى المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ،ط. القاهرة١٩٨٦مج١ص١٤٥.

(٢) غير موجوده فى الأصل وتم اضافتها لسياق المعنى.

(٣) التكرور: هو اسم لشعب كبير من القبائل الحامية أسس مملكة افريقية قديمة جدا امتدت من غـــرب الســـودان إلى سواحل البحر المحيط (الاطلنطى) في أراض شاسعة تزيد عن مساحة الجزيرة والعراق والشام معا.وذكـــر اليعقـــوبى أن قاعدة التكرور على جانبى النيل، .ووصفها القلقشندي بأنها تشتمل على أربعة عشر إقليما، ،وقد دخلها الاسلام فى القرن الخامس الهجرى وقد بسطت نفوذها على مناطق كثيرة في إفريقيـــا الســـمراء وبلغـــت أوج قوتهـــا واتساعها في القرنين الثامن والتاسع الهجريين(الرابع والخامس عشر الميلاديين) ،وقد ضمت تلك المملكـــة أرضـــي المناطق المعروفة اليوم سياسيا بالسنغال ومالي ونيجيريا والنيجر وتشاد وصولا إلى حـــدود دارفـــور في الســـودان. ابوالفدا : تقويم البلدان ،ص١٤٥؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان ، ط بيروت ، ح٢ص٣٨؛القلقشـــندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٠٥؛ ابن فوديو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور،ط١٩٥٦،ص١٢.

(٤) وادى بركة : يقع فى شمال الحبشة وهو وادى نهر ينبع من منطقة الهضاب الوسطى فى اريتريا الآن، ويصب فى البحر الأحمر عند الساحل الشمالى الشرقى للسودان، ويبلغ طوله حوالى ٦٣٠كم. صلاح الدين الشامى: جغرافية السودان الطبيعية،ط .الاسكندرية١٩٧٢م، ص٨٨؛ فتحى غيث : الحبشة عبر التاريخ ، ص٨٩.

(٥) سحرت إحدى أقاليم الحبشة ،وكانت تسمى قديماً تكراى ،وبها عدة مدن منها أحسرم ، وكانـــت بهـــا كرسى الملك النجاشى. القلقشندى:صبح الأعشى ،ج٥ص٣٠٣. ابوالفدا : تقويم البلدان ،ص١٥٩.

(٦) غير واضة فى الأصل والتصويب من القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٠٣.

(٧) يطلق على هذه المدينة عدة أسماء منها أمحرا أوأمحره أو أمهرا ، وتعتبر اللغة الأمهرية هى اللغة الرسميـــة فى الحبشة، وكانت أمحرا مقر إقامة ملك الحبشة. فتحى غيث : الحبشة عبر التاريخ ، ص٥.

(٨) هى مدينة بإقليم أمحرا، وكانت عاصمته القديمة ، وقد ذكرها اليعقوبى بأنها كرسى مملكة الحبشة وقاعدتهم . ابوالفدا : تقويم البلدان ، ط ١٨٥٠،ص١٤٥.

(٩) هى شوا الآن وتقع فى وسط أثيوبيا، وبها العاصمة الأثيوبية أديس ابابا، وتضم عدداً كبيرا من المســـاجد =والمدارس، وأهلها يتكلمون الامهرية والعربية والاروميـــة.علـــى محمـــود علـــى : اثيوبيـــا، ط.القـــاهرة

إقليم السيهو ثم إقليم الزنج[١] ثم إقليم عدل الأمراء[٢]ثم إقليم حماسا ثم إقليم باريا ثم إقليم الطراز الاسلامى[٣] الذي يقال له الزيلع[٤] ، ولكل إقليم من هذه الأقاليم الاثنى عشر[٥] ملك[٦]، والكل تحت يد الحطّى،ومعناه بالعربية السلطان، وتحت يده تسعة وتسعون ملكاً، هو تمام المائة إلا أن بلادهم غير مشهورة عندنا ، وجميع بلاد الحبشة تزرع على المطر

١٩٩٩م،ص١٢.

(١) وردت " الزلح " فى القلقشندى:صبح الأعشى ،ج٥ص٣٠٣.

(٢) عدل: من أقاليم أوفات ،وكان يُعرف بعدل الأمراء، وعندما سقطت أوفات قامت بدلا منها عدل ، تحت قيادة نفس الأسرة التى كانت تحكم أوفات ،ولكن أقل من أوفات فى القوة بل وفى مساحة الأرض أيضا إذ تحتوى أوفات على مساحة كبيرة وشاسعة من الأرض، بينما تشتمل عدل على المسافة المحصورة بين ميناء زيلع وهرر وبين إقليم الأوجادين. ويقال أن كلمة عدل نفسها مأخوذة من ميناء كان يسمى بهذا الاسم، كان يقع على رأس خليج (تاجورا) قرب جيبوتي الحالية. وعدل هي " أودال " الآن بعد تحريف كلمة عدل، وهى منطقة تقع في بلاد الصومال، وعاصمتها زيلع . شهاب الدين أحمد عرب فقيه: فتوح الحبشة، ص٢٢-٢٣. محمد حسين معلم: السلطنات الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي،ط.اوسلوا ١٩٩٩م،١٥.

(٣) دول الطراز الإسلامي " وهي : أوفات ، دوارو ، أرابيني ، هدية ، شرخا ، بالي ودارة. وكانت أغلب هذه الامارات مشرفة على البحر الأحمر. القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٢٧-٣٢٩.

(٤) عرفت زيلع كأحدى ممالك الطراز الإسلامي، وذلك في القرن التاسع الهجرى،ووصفها ياقوت بأنها قرية على ساحل البحر من ناحية الحبشة ، وقد اشتهرت زيلع بتجارة الرقيق ،وقام الرحالة ابن بطوطة بزيارتها ولكن لم تعجبه كمدينة ، وقد قامت فى زيلع دولة اسلامية من آل عمر ولشمع. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ح٣ص١٦٤-١٦٥؛ ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،ط١٩٨٩م ص١١٢.

(٥) غفل الناسخ هنا عن الإقليم الثانى عشر، وهو إقليم داموت بينما جاء ذكره مصادر أخرى. أبوالفدا : تقويم البلدان ، ص١٥١؛ القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٠٣.

(٦) رغم أن الممالك الإسلامية التي نشأت في الحبشة تنتمي إلى دين واحد وهو الإسلام ، إلا أن علاقاتهم فيما بينهم لم تكن جيدةً ، بل كانوا مفككي الأوصال غير موحدين ، وبالتالي أصبحت ممالك لا وزن لها بسبب الصراع والتنافس فيما بينهم ، ومن أجل ذلك أصبح مستواهم السياسي والاقتصادي والعسكري ضعيفاً ، فصاروا لغمة سائغة يدينون لملك الحبشة بالطاعة ،ويدفعون لهم الأتاوات والجزية. محمد حسين معلم: السلطنات الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي، ص٢.

مرتين فيحصل لهم في السنة الواحدة غلاتان[١]،إذ يكثر عندهم نزول المطر وقعت الصواعق[٢]، وعندهم أشجار كبيرة منهم ما تُظل الواحدة مائتى فارس فمن أشجارهم شـــجر الأبنـــوس، وعندهم القناء[٣] ،وهو نوعان صامت ومجوف ولهم منابت لا تُعرف بأرض مصر والشـــام ولا العراق، وعندهم معدن الحديد ومعدن الذهب، ويوجد في بلادهم معدن الفضة، وتعظم عندهم الحيات بحيث تقوم الحية بأعلى الجبل فتصير في الجو شبه قوس قزح[٤] في عظمتها لا فى اللون. وأخبر ثقة أنه شاهد ذلك ، وعندهم سحرة يمنعون الريح أن تهب فيأمر الحطّى بهم أن يضربوا فلا يزال يهدئون حتى تهب الريح فيدروا [٥]عليها غلالهم، وعندهم دجاج الحبش وهو برى ، ولهـــم دجاج ثاني يخرج هو والبط من بركة في إقليم هدية[٦]من بلاد الزيلع وهو مولد من هذا الماء.

---

(١) غير واضحة فى الأصل والتصويب غلاتان. القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٠٣.

(٢)الصواعق أو البرق هو الضوء المبهر الذي يظهر فجأة في قلب السماء خلال سقوط الأمطار، وهـــو أحـــد الظواهر الطبيعية التى تحدث نتيجة تصادم سحابتين أحدهما تحمل شحنة كهربائية سالبة والأخرى تحمل شـــحنة كهربائية موجبة ، وبذلك ينتج عن التصادم شرارة قوية تصدر علي هيئة الضوء الذي نراه فجأة ثم يختفـــي في السماء، كما أن هذا الضوء يعقبه صوت عالٍ قادم من السماء وهو ما يسمى بالرعد، والإثنان معـــاً يطلـــق عليهم اسم الصاعقة.أما عن مناخ إثيوبيا فهو مداري موسمي تنتابه العديد من التغيرات، وذلك حسب مظـــاهر السطح في البلاد، ويتراوح معدل سقوط الأمطار بين ٢٠ إلى ٧٠ بوصة، ويتركز موسم المطر الرئيسي بـــين نصف يونيو وسبتمبر ويعقبه موسم للجفاف قد يقطعه موسم قصير للمطر في فبراير أو مارس. حســـام جـــاد الرب: جغرافية إفريقيا وحوض النيل ، ص٥٤٢.

(٣) القناء : القرع.ابن منظور: لسان العرب.

(٤) قَوْسُ قُزح هو ظاهرة طبيعية فيزيائية ناتجة عن أنكسار وتحلل لضوء الشمس خلال قطرة ماء المطر. يظهـــر قوس قزح خلال أو بعد سقوط المطر والشمس مشرقة. وتتكون ألوانه من اللون الأحمر من الخارج، ويتـــدرج إلى البرتقالي فالأصفر فالأخضر فالأزرق فأزرق غامق (نيلي) فبنفسجي من الداخل.دائرة المعارف الاســـلامية : مادة قوس قزح.

(٥) درء أى دفع عنه والمقصود هنا فصل ما يعلق فى الحبوب من شوائب.القاموس المحيط.

(٦) إقليم هدية إحدى المدن التى كانت تحت حكم المسلمين من ضمن ستة مدن منها (أوفات ـــ ودواروـــ أرابينى ـــ هدية ـــ شرحا ـــ بالى ـــ دارة). ابوالفدا : تقويم البلدان ، ص١٥٣.

مطران الحبشة:

لأبد للحبشة من مطران[١] يوليه عن طريق النصارى اليعاقبة بمصر بعد سؤال الحطّـــى سلطان مصر في ذلك بكتاب يبعثه مع رسله وصحبته هدية فيتقدم للبطريق بتعيين مطران لهم. والحبشة قوم يدينون بالنصرانية [٢]من قديم ،ويعتنقون مذهب اليعقوبية[٣]، وهم يتشددون في ديانتهم تشددا زائداً، ويعادّون من خالفهم من سائر الملل أشد عداوة ، ويعـــادون الطائفـــة الملكية من النصارى بحيث أخبرنى من دخل منهم إلى بلاد الحبشة أنه أظهر بها أنه يعقوبى خوفاً من القتل لو علموا أنه ملكي.

---

(١) المطران: مرتبة دينيه عند النصارى ، وهو دون البطريرك، وفوق الأسقف، أما البطريرك فهو كبير رؤساء الأساقفة.ابن الأزرق: بدائع السلك فى طبائع الملك، ط القاهرة ٢٠٠٧م، ص١٦؛ مسعد بولس : وظـــائف الكنيسة ، ط١٩٧٨م، ص١٧.

(٢) كانت للمسيحية فى بداية عهدها أربعة كنائس رئيسية الأولى بروما ، والثانية بالاسكندرية والثالثة كنيسة انطاكية والرابعة كنيسة بيت المقدس ، أما كنيسة روما فقد صارت لطائفة الملكانية - نسبة إلى الملك أو قيصر الروم -وهى مقر البابا الآن، وأما كنيسة الاسكندرية فقد صارت لطائفة اليعاقبة ، أما كنيستى انطاكية وبيت المقدس فقد بطلا باستيلاء العرب المسلمين عليهم، وقد صار البطريرك الذى يُرسل بمعرفة كنيسة الاسكندرية إلى الحبشة والنوبـــة وســـائر بـــلاد الســـودان يتبـــع اليعاقبـــة فى الاســـكندرية. القلقشـــندى : صـــبح الأعشى،ج٥ص٣٠٨.

(٣) ثار الجدل والنزاع بين المسيحيين حول صفات المسيح، إذ ذهبت الكنيسة المصرية بالاسكندرية بأن المسيح له طبيعة واحدة ـــ آلهية ـــ ، بينما ذهبت كنيسة القسطنطينية بأن المسيح له طبيعتين ـــ بشرية وآلهية ـــ، مما دعا الأباطرة البيزنطيين إلى عقد المجامع الدينية التى أقرت فى مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م ، بأن كفَّروا من قال بأن للمسيح طبيعتين، ،وإن كل ما يخالف ذلك يعتبر الحاداً وكفراً، وكان أن رفضت الكنيسة المصرية ذلـــك ونادوا بأن للمسيح طبيعة واحدة، وأطلقوا على أنفسهم الأرثوذكس أى أتباع الدين الحـــق أو الصـــحيح ، وعرفوا باسم اليعاقبة نسبة إلى أسقف الرها ، بينما عرف أتباع كنيسة القسطنطينية بالملكيين نسبة إلى ملـــك الروم أو الأمبراطور البيزنطى.اسحق عبيد : الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربريـــة، ط١٩٧٢م،ص٨٨؛ رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة ،ط ١٩٨٣م،ص١١٣ - ١٢٠؛ سعيد عاشور: مصر فى العصور الوسطى، ط القاهرة ١٩٦٩م، ص٤٦، محمود الحويرى : مصر فى العصور الوسطى، ط القاهرة ١٩٩٩م،ص٨٢.

والحبشة تسكن بيوتا من قش تطلى بأحثاء[١] البقر ويأكلون اللحم نيئاً ، لقد أخبرني من شاهد الحطّى داود بن سيف أرعد (بن قسطنطين [٢]) يأكل كرش بقرة نيئاً، وما فيه من بقايا الفرث [٣] حتى يسيل على حنكه[٤]،وشاهد رجلا يأكل دجاجة، وهى تصيح وهم عراة الأبدان[٥] لا يكادون يعرفون لبس المخيط بل يرتدون ويزررون في أوساطهم.وليس للحطّى ديوان[٦] لكنه إذا خرج إلى الغزو أمر جنده، وألقى كل منهم حجر في موضع يُعيّنه لهم، لذلك فإذا رجع من (غزواته[٧]) أخذ كل واحد من العسكر حجراً ، فما فضل من حجارة علموا به عدة من هلك منهم .

فلما هلك داود بن سيف أرعد[٨] سنة اثني عشرة وثماني مائة اقيم بعدة ابنه تدرس

---

(١) الحثاء :روث البقر .ابن منظور : لسان العرب.

(٢) خالية فى الأصل، والتكملة من المقريزى : السلوك، ج٧ص٢١٥.

(٣) الفرث : مابقى في الكرش من طعام وقيل الكبد .ابن منظور : لسان العرب.

(٤) الحنك: باطن أعلى الفم .القاموس المحيط.

(٥) كان من عادة الناس الظهورعارياً إذ يقتصر لبسهم على شد الوسط والاتزار بلا لبس سراويل،ولا يعرفون لبس المخيط إلا الخواص والأجناد فإنهم يلبسون الحرير والأبراد الثمينة. القلقشندى : صبح الأعشى،ج٥ص٣٣٤،٣٠٧

(٦) الديوان : كلمه فارسية تعني السجل أو الدفتر.أطلقت مجازاً على مكان حفظ السجّل ،وقد نشأت الدواوين في عهد عمر بن الخطاب بسبب اتساع رقعة الدولة والحاجة لتنظيمها لمراقبة العمّال والولاة. وتعددت وزاد عدد الدواوين في العصرين الأموي والعباسي حتى أصبحت دواوين الدولة تشبه الوزارات فى وقتنا الحاضر. أما ديوان الجند فقد كان يحصر فيه جند كل إمارة وأعطياتهم وكل ما يختص بشؤونهم. عبد العزيز الدوري: النظم الإسلامية ، ط بيروت ١٩٩٨م، ص ١٦٢-١٦٨؛ حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسى ،ط. بيروت ١٩٩٦م، ج٢ص٢١٨.

(٧) فى الأصل غزاته، والتصويب ما بين القوسين .

(٨) سيف الدين أرعد ملك الحبشة ،ويطلق عليه أيضا الحطى، وكانت قد طالت أيام مملكته ، وقد ذكر المقريزى على لسان أبى المحاسن انه كان يلى حكم الأحباش عندما تولى السلطان برقوق أمور الحكم ، وقد توفى سنة ٨١٢هـ . ، أبو المحاسن: الدليل الشافي على المنهل الصافى، ج١ص١٧٣. السخاوى :الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج٢ص٢١٢

(تادرُوس) فهلك سريعاً، وأقيم بدله أخوه إسحاق[١] بن داود بن سيف أرعد ورأيت من يسميه أبرم ففخم أمره، وذلك أن بعض المماليك الجراكسة ممن كان زردكاشاً [٢] بديار مصر قدم عليه، وأقام عنده ،وعمل له زردخانه[٣] عظيمة تشتمل على آلات السلاح من السيوف والرماح والزرديات[٤] ،ونحو ذلك وكانوا من قديم الدهر، إنما سلاحهم الحراب يرمون بها، وقدم عليه من أمر الدولة بمصر شخص يقال له الطنبغا مغرق [٥] ترقى حتى ولى بلاد الصعيد ثم فر إليه، وكان يعرف من آداب اللعب بآلات الحرب ، ومن أنواع الفروسية أشياء فحظى عند الحطّى ،وعلم عساكره رمى النشاب واللعب بالرمح، والضرب بالسيف وعمل لهم النفط فعرفوا صناعات الحروب، وقدم عليه أيضا من قبط مصر نصراني يعقوبى يعرف بفخر الدولة[٦]، فرتب له المملكة، وجبى له الأموال فصار ملكاً له ديوان بعد ما كانت مملكته ومملكة ومملكة آبائه همجا لا ديوان لها ولا ترتيب ولا قانون، فانضبطت عنده الأمور، وتميز به في رعيته

---

(١) انظر ترجمته . السخاوى :الضوء اللامع ج٢ص٢٧٧، أبو المحاسن: الدليل الشافي ، ج١ص١١٦؛ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج٩ص٢٩٢.

(٢)زردكاش: وظيفة الصانع الذي يعمل في السلاح خاناه فى صنع السلاح واصلاحه وتجديده. القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٤ص١٢.

(٣) الزردخانه: بيت الزرد ومعناها بيت السلاح. القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٤ص١١-١٢.

(٤) الزرديات : مفردها زرد وهو درع يُلبس تحت الثياب الظاهرة وفوقه الخوزه. محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المماليكى ،ط. دمشق ١٩٩٠م، ص٨٦.

(٥) الطنبغا مغرق : هو بعض مماليك الأمير بزلار نائب الشام فى أيام السلطان برقوق ترقى في الخدم، وعرف بالطُنبغا مغرق حتى باشر ولاية قوص من بلاد الصعيد. ثم فر إلى الحبشة واتصل بالحطي هذا ،وعلم أتباعه لعب الرمح ورمي النشاب، وغير ذلك من أدوات الحرب. المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط بيروت ١٩٩٧م ،ج٧ص٢١٥. أبو المحاسن: الدليل الشافي على المنهل الصافى، ج١ص١٢١، ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة،ج٢ص٩.

(٦) فخر الدولة : كان من الكّتاب النصارى اللذين فروا من حادث حدث له فى مصر، فدخل إلى الحبشة بكتاب من بطريرك الحبشة ، فحظى عند ملك الحبشة، ورتب له أمور المملكة، وجبي له الأموال ،وجند له الجند، وصار أمر المملكة إليه. ابن حجر : إنباء الغُمر بأنباء العُمر، ج٣ص٤٣٥. الصيرفى: نزهة الأبدان والنفوس،ط القاهرة ١٩٧٣م، ج٣ص٢٠٣.ابو المحاسن: النجوم الزاهرة : ج١٤ص١٨٢.

بالملابس الفاخرة بعد ما كان داود بن سيف أرعد يخرج عريانا . وقد عصب رأسه بعصابة[١] حمراء فصار إسحاق يمر في موكب[٢] جليل بشارة الملك، حتى لقد أخبرني من رآه وهو راكب فرسه، وقد مر في موكب، وفى يده اليمنى صليب من ياقوت أحمر ، وقبض عليه في كفه، ووضعها على فخده، وطرفا الصليب بارزتان عن يده بروزاً كبيراً.

فلما تحضرت دولته، وقويت شوكته، وسوس إليه شيطانه أن يأخذ ممالك الإسلام، فأوقع من تحت يده في ممالك الحبشة من المسلمين وقائع شنيعة طويلة قتل فيها وسبى وأراق عالما لا يحصيه إلا خالقه سبحانه وتعالى، وأزال دولة المسلمين من هناك [٣] ،كما يأتى ذكره إنشاء الله تعالى، ثم كتب إلى مملوك الفرنج يحثهم على ملاقاته لإزالة دولة الإسلام[٤]، وأوعدهم وأوعدهم على ذلك، وأخذ في تمهيد ما بينه وبين البلاد الإسلامية، من[٥] استجلاب العربان ،

---

(١) العصابة : وجمعها عصائب وهى راية عظيمة من حرير مطرزة بالذهب ، وقد جرت عادة ملوك الحبشة أن يعصب رأسه بعصابة من حرير تدور بدائر رأسه، وبيقى وسط رأسه مكشوفاً، أما الأجناد فكانوا يعصبون روؤسهم بعصائب من قطن بينما يلبس العامة كوافى بيضاء . القلقشندى: صبح الأعشى ،ج٥ص٣٣٣؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام، ط ١٩٩٤م ، ص٤٤٢.

(٢) المواكب: كان موكب ملوك الحبشة تتقدمه الحجاب والنقباء لطرد الناس، ويضُرب بأبواق من خشب ذات رؤؤس مقرونة مجوفة، وتدق طبول معلقة فى أعناق الرجال تسمى الوطواط يبلغ طولها ثلاثة أذرع، وتُسمع على مسيرة نصف يوم. القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٣٤.

(٣) أورد أبو المحاسن السبب فى مهاجمة اسحاق مهاجمة المسلمين فى بلاده حيث يقول : في أخبار سنة ٨٢٧ هـ : ورد على متملك الحبشة وهو إسحاق أو أبرم ، ما أغضبه بسبب غلق كنيسة القيامة بالقدس ، وقام بقتل عامة من كان في بلاده من المسلمين واسترق نساءهم وأولادهم ، وهدم ما في مملكته من المساجد. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ،ج١٤ص٩٦.

(٤) لما تولى إسحاق أمور الحكم ازدادت دولته سطوة وقوة، فلما كان ذلك ازدادت نفسه غروراً، ورأى أن يأخذ ممالك الإسلام القريبة منه، وكتب إلى بلاد الفرنج يدعوهم للمسير إلى بلاد المسلمين ليوافوه بالبحر إذا قدم هو في البر، بل أرسل رسولا لمقابة ملوك الفرنجة ، فوقع هذا الرسول أسيراً فى قبضة سلاطين المماليك فى مصر، ومعه هدايا الفرنج لملك الحبشة، وحبسوه فى سجن القلعة فترة ثم ضربوا عنقه سنة ٨٣٢هـ ، السخاوى :الضوء اللامع،ج٧ص٢٠٢ ؛ أبو المحاسن: المنهل الصافى ، ج١ص١١٦؛أبوالمحاسن :النجوم الزاهرة،ج١٤ص١٦١.

(٥) اضيفت (من) لسياق المعنى.

فعاجله الله سبحانه وتعالى بنقمته، وأهلكه عقب ذلك في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثماني مائة، وسلط الله على أمحره[١] الملك جمال الدين بن سعد الدين[٢]، فأوقع بهم وقائع وأفني منهم أمماً وأسر منهم عوالم ملأت أقطار الأرض يمناً وهنداً وحجازاً ومصر أوشاماً وروماً.

وقد أقيم بعد إسحاق المذكور ابنه أندارس[٣] ــ أندراوس ــ فهلك لأربعة أشهر من ولايته، وأقيم بعد ذلك عمه حرنباي[٤] بن داود بن سيف أرعد فلم تطل أيامه، وهلك في شهر رمضان سنة أربعة وثلاثين[٥]، فأقيم عوضه سلمون بن إسحاق بن داود فهلك سريعا، فكان للحبشة في سنة أو نحوها أربعة ملوك، وتوالت حروب المسلمين فيهم تقتل وتأسر وتسبى وتحرق وتغنم ، ثم نشأ في عامة بلاد الحبشة وباء عظيم شنيع في سنة خمس وثلاثين وثمانمائة[٦] ، ، وهلك فيه الحطّى[٧] وعالم عظيم حتى قيل أنه قد خلت البلاد لموت أهلها، والله يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

---

(١) كانت عاصمة بلاد الحبشة المسيحية ، وكانت مقر إقامة ملك الحبشة.

(٢) كان حاكم مملكة اسلامية فى زيلع.

(٣) انظر ترجمته فى شذرات الذهب،ج٩ص٢٩٢.

(٤) غير واضحة فى الأصل وتم التصويب من المقريزي : السلوك ،ج٦ص٣٦. أبوالمحاسن :النجوم الزاهرة،ج١٤ص١٥٩-١٦١.

(٥) ظل حرنباى فى الحكم سبعة أشهر. ابن العماد الحنبلى :شذرات الذهب،ج٩ص٢٩٢.

(٦) لم يكن فى سنة ٨٣٥هـ وباء ، وإنما انتشر وباء الطاعون فى بلاد الحبشة سنة ٨٣٣هـ وفى سنة ٨٣٩هـ .أبو المحاسن : النجوم الزاهرة،ج١٤ص١٨٢؛ المقريزي : السلوك ، ج٧ص٢١٤.قاسم عبده قاسم : النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، ط١٩٧٨م، ص١٣٦.

(٧) اقيم بعد سلمون بن اسحاق بن داود صبي صغير مات من وباء الطاعون فى بلاد الحبشة سنة ٨٣٩هـ. ابن حجر : إنباء الغُمر بأنباء العُمر، ج٣ص٤٣٤-٤٣٥.

ذكر بلاد الزيلع[١]:

أعلم أن بلاد الزيلع كما تقدم من جملة بلاد أراضى الحبشة ، وعرفت بقرية في جزيرة من البحر يقال زيلع وطول أرض الزيلع براً وبحراً نحو شهرين وعرضها أكثر من شهرين إلا أن غالبها قفار[٢] غير مسكونة، ومقدار العمارة مقدار مسافة ثلاثة وأربعين يوما طولاً في عرض أربعين يوماً ، وتنقسم إلى سبع ممالك وهى أوفات ودوارو وأرابيني وهدية وشرحا وبالى ودارة، ولكل مملكة من هذه الممالك السبع ملك، ويتسلط عليهم جميعهم الحطّى ملك (أمحره [٣]) ويأخذ منهم القطعية من المال في كل سنة، وهى قماش وغيره، وكلها ممالك ضعيفة قليلة المتحصل، وبها المساجد والجوامع التي تقام بها الجمعة والجماعة وعند أهلها محافظة على الدين. ويقال لها الجبرت[٤] وهى بلاد حارة وبيوتهم[٥] من طين وحجر وخشب ،وليس لها أسواق، ولا ولا بها فخامة لأمورهم ،ومملكة أوفات طولها خمسة عشر يوماً في عرض عشرين يوماً كلها عامرة بالقرى والأسعار بها رخيصة . أخبرني الشيخ المعمر الأديب الشاعر المغربي[٦] الجوال في

---

(١) زيلع : جيل من السودان فى طرف بلاد الحبشة ينتسبون إلى مسلم بن عقيل بن أبي طالب ويتمذهبون بمذهبي أبي حنيفة والشافعي، وتقع الزيلع فى الجهة المقابلة لليمن على بحر القلزم وما يتصل به من بحر الهند .والزيلع أيضا جزيرة من جزائر اليمن تُنسب إليها، وتقع طائفة الزيلع تحت حكم الحطى ملك الحبشة ، ياقوت الحموى: معجم البلدان،ط بيروت، ج٣ص١٦٤؛ القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٢٤؛ ابوالفدا: تقويم البلدان ، ص١٥٩.

(٢) القَفْرُ: هو الخلاءُ من الأَرض أوالمَفازة التى لا نبات بها ولا ماء.القاموس المحيط.

(٣) غير واضحة فى الأصل والأقرب ما بين القوسين.

(٤) جبرت: اسم حبشى الأصل بمعنى عباد الله ، وجبرت يقال لها أوفات أيضا أو جبرة ،وهى من أكبر مدن الحبشة وعمارتها متفرقة، ودار الملك فيها على تل والقلعة على تل ، ولها وادى فيه نهر صغير.ويُنسب إليها الجبرتى المؤرخ. القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٢٥. ابو الفدا: تقويم البلدان ، ص١٥٩؛عبد الحميد عابدين : بين الحبشة والعرب، ط القاهرة ١٩٧٦م، ص١٥٦

(٥) كانت بيوتهم من طين وحجر وخشب مسقوفة بقباب ، وبلا أسوار ، ولا بها فخامة بناء ، ولا تُعرف عندهم مدرسة ولا خانقاه ولا رباط ولا زاوية. القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٢٤.

(٦) أغلب الظن أنه يقصد الرحاله ابن بطوطه فقد كان من مدينة طنجة ببلاد المغرب.

الارض رحمه الله تعالى قال رأيت أوفات أيام عمارتها الموز يباع كل عرجون[١]بربع درهم فيه نحو مائة موزة .ورأيت اللحم[٢] يباع كل طابق وهو ثلاثون رطلا بدرهم ونصف[٣] .وملك أوفات يحكم على الزيلع، وغالب أهلها شافعية المذهب، وكثر فيها بعهدنا الحنفية، وكلام أهلها باللغة الحبشية ،ويتكلمون أيضا باللغة العربية ،ولهذه المملكة عدة مدن وملكها يجلس على كرسي ويركب (فى موكب جسيم وبين يديه) [٤]الطبل والزمر، وعندهم الفواكه وقصب وقصب السكر، ولهم منابت لاتعرف بمصر والشام منها شجرة يقال لها جات[٥] لا ثمر لها يُوكل يُوكل ورقها وهى تشبه قلوب أوراق شجر النارنج[٦]وهى تزيد في الذكاء ،وتذكر النسيان، وتفرح وتقلل شهوة الأكل والجماع وتقلل النوم ولأهل تلك البلاد في أكل هذه الشجرة رغبة كبيرة لا سيما أهل العلم .ويجلب إليها الذهب من داموت وسُحام[٧] وهما معدنان الحبشة وبه وبه معاملتهم.

---

(١) العرجون: كل غصن له شُعب.القاموس المحيط .

(٢) قام الناسخ بتكرار كلمة اللحم مرتين.

(٣) كانت معاملتهم بدنانير مصر ودراهمها الواصلة إليهم فى صحبة التجار ، فلو ضُربت عملة لم ترج إلا فى بلادهم فقط. القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٣١.

(٤) خالية في الأصل والتصويب من الصيرفى:نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان،ط.القاهرة ١٩٧٣م، ج٣ص٢٠٣.

(٥) يقصد شجرة القات وهو نبات على شكل شجيرات يتراوح طولها بين ٢ و٥ أمتار ولونها أخضر ، يزرع في اليمن وإثيوبيا (الحبشة) التي يعتقد أن زراعته انتقلت من الحبشة إلى اليمن أثناء فترة حكم الأحباش لليمن ، وشيوع مضغ أوراق القات عادة في منطقة جنوب البحر الأحمر، وبوجه خاص في الحبشة واليمن ،.وديع جبر: معجم النباتات الطبية ، ط ٢٠٠٢، ص٢٠٩.

(٦) النارنج شجرة معمرة يبلغ أرتفاعها عشرة أمتار. أوراقها غامقة اللون والأزهار بيضاء لها رائحة عطرية لطيفة والثمرة كروية كبيرة ذات لون برتقالي محمر وخشنة الملمس وطعمها حامض مثل الليمون، يقال أن أصله من الصين ، وتنتشر زراعة اشجار النارنج في العراق نظرا لقدرته على تحمل الطقس الحار. وديع جبر: معجم النباتات الطبية ، ص٢٦١.

(٧) السحام : سواد كسواد الغراب ، وهى بلدة باليمن مقابل ذمار وهى قرية قريبة من صنعاء. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٣ص١٣٩.

مملكة دوارو[١]:

طولها خمسة أيام في عرض يومين، وأهلها حنفية المذهب ومعاملتهم الحديد، وتسمى الواحدة من تلك الحدايد حنُكُة بفتح الحاء وضم النون والكاف،وهى طول الإبرة، والرأس الغنم بثلاثة الآف حنكة ،وهى مجاورة لأوفات.

مملكة أرابينى[٢]:

طولها أربعة أيام،وعرضها كذلك ،وأهلها سنية ،وهى تلي دوارو، وهم كأهلها في المعاملة.

مملكة هدية[٣]:

طولها ثمانية أيام وعرضها تسعة أيام ،وملكها أكثر الجميع عسكرا، وزيّهم كزى أرابينى حتى في المعاملة، وإليها يجلب الخصيان الخدام الذين يعرفون بأرض مصر بالطواشية[٤]، وأخذهم

---

(١) دوارو :تقع جنوب شوا ،وتمتد بين نهر هواش وآعالي نهر شبيلي ، وهي المنطقة التي تعرف حالياً باسم (آتو) أو الأيتو ، وتشغل مساحتها أقل من مساحة سلطنة إفات ، ورغم أنها لا تصل إلى مستوى سلطنة إفات عسكرياً إلا أنها كانت تمتلك جيشاً قوياً ورجالاً أشداء في الحروب لا يقلون عن جيش إفات قوة وشكيمة رغم صغر حجمها . محمد حسين معلم :السلطنات الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي،ص١٧ .

(٢) أرابينى: تقع شمال شرقي بحيرة تانا، ومساحتها صغيرة مربعة الشكل ، وطولها أربعة أيام وعرضها كذلك، ورغم أن حجم هذه السلطنة صغيراً إلا أنها من الناحية العسكرية كانت قواتها تقدر بما يقارب عشرة آلاف فارس ، وعددا كثيرا من الرجال . محمد محمد أمين :الصومال في العصور الوسطى الإسلامية ، ص ٧٩.

(٣) هدية : تقع هذه المملكة غرب الممالك الإسلامية الأخرى ، وبالتحديد جنوبي إفات ، بالقرب من جنوب إقليم شوا ،كما تجاور مملكة (أرابيني) ، ويجتازها نهر أدمو الذي يصب على بحيرة رودلف، وهي المنطقة التي تعرف اليوم باسم بوران، وتمتد إلى المناطق الصومالية في إقليم أنفدي الذى يضم أراضي الحدود الشمالية للصومال ،وكانت تتكون من ثمانية مقاطعات منها وشلوا، ومما يذكر أن أغلب أهل مملكة هدية كانوا وثنيين رغم أن الطبقة الحاكمة كانوا مسلمين. محمد محمد أمين :الصومال في العصور الوسطى الإسلامية ،ط القاهرة١٩٨٤م، ص ٧٩. محمد حسين معلم :السلطنات الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي،ص١٧. محمد عبد الله: انتشار الاسلام فى شرق افريقية،ص٢٠٩.

(١) الطواشية : هم الخصيان المعينون لخدمة السلطان وحريمه ، وكانت لهم حرمة وافرة وكلمة نافذة، ويعد

وأخذهم طواشى، فإن صاحب أمحره يمنع من خَصى العبيد، ويشدد في ذلك ، فتأتى السّراق[١] إلى مدينة (وشلوا [٢]) وأهلها همج لا دين لهم فتمضى بها العبيد فإنه لا يوافق على ذلك في جميع بلاد الحبشة سواهم، ثم يُحمل من يخصى إلى مدينة هدية فُتعاد المواسى مرة ثانية حتى ينفتح مجرى البول، فإن يكون قد انسد بالقيح ثم يعالجون لدربة[٣] أهل هدية بذلك ،وقل من يعيش من الخُصيان[٤] لأنهم يحملون إلى هدية من غير علاج .

مملكة شرحا[٥]:

طولها ثلاثة أيام في عرض أربعة أيام، وأهلها حنفية.

شيخهم من أعيان الناس. محمد أحمد دهمان :معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، ص ١٠٩؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام، ص٤٤٠.

(٢) السَّرَاق يطُلق على من يبيع العبد. ابن منظور : لسان العرب.

(٣) وشلوا : إحدى المدن التابعة لمملكة هديةالتى تتكون من ثمانى مدن منها وشلوا التى تعتبر أكبر المدن فى مملكة هدية. القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٢٨؛ محمد حسين معلم :السلطنات الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي،ص١٦.

(٤) الدُّرْبَةُ، بالضمِّ: عادةٌ، وجُرأةٌ على الأمر. القاموس المحيط.

(٥) وردت خصان، وجمعها الصحيح خُصيان. الصحاح فى اللغة.

(٦) كانت تقع بين سلطنتي هدية ودوارو غرب إفات ، وكانت إمارة صغيرة مثلها مثل سلطنة أرابيني ذات مساحة محدودة لذا لم تستطع أن تكوّن جيشاً قوياً كغيرها من الممالك ، بل أن جيشها كان يحتوي على ثلاثة آلاف من الفرسان وعلى ضعف العدد من المشاة. محمد محمد أمين :الصومال في العصور الوسطى الإسلامية ، ص ٧٩.

مملكة بالى[1]:

طولها عشرون يوماً في عرض ستة أيام، وهى أكثر بلاد الزيلع خصبا ومعاملتهم بالأعواض غنما ببقر وبقراً بشيات ونحو ذلك وأهلها حنفية.

مملكة دارة[2]:

طولها ثلاثة أيام في عرض ثلاثة أيام وهى أضعف ممالك الزيلع، وأهلها حنفية، وهم أيضا يتعاملون بالأعواض ،وجميع ملوك هذه الممالك إنما هم نواب عن الحطّى لا يقيمهم إلا هو،ويجاور هذه البلاد ناصع وسواكن(٣) ودهلك (٤)وأهلها مسلمون، وألسنة الممالك الزيلع لغاتهم مختلفة تبلغ زيادة على خمسين لساناً وكلهم تكتب بالقلم الحبشي، وكعلم من اليمين إلى الشمال ،وعدة حروف هذا القلم ستة عشر حرفاً، لكل حرف سبعة حروف فروع عنه جملة

---

(١) بالى: كان لوقوع هذه المملكة بين نهري شبيلي وجوبا ، إذ يحدها نهر شبيلي من الشمال ، وجوبا جنوباً ، وبسبب هذا الموقع الخصيب الذي اجتمعت فيه خصوبة الأرض وصفاء وبرودة الهواء ،لذا تميزت هذه المملكة عن غيرها من أخواتها في الطراز الإسلامي بحياة اقتصادية رفيعة ،كما أن هذه السلطنة تختلف عن شقيقاتها الأخرى من الدول الطراز لإسلامي حيث إنها لم تدم عليها صفة وراثة الحكم، بل تعددت الأسر التى حكمتها، ولم تستمر وتحكم أسرة معينة في الملك ، أذ كان للأحباش دور في عملية تولية الحكم.ومملكة بالي الإسلامية من الناحية الفقهية تسير المعاملة فيها المقايضة بالتبادل ، إضافة إلى المذهب الحنفي هو المنتشر في أرجاء السلطنة مثل جارتها سلطنة دارة. القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٢٩؛ محمد أمين: المرجع نفسه،ص٨٠.

(٢) دارة : تقع على الحدود الغربية لمملكة أوفات ،وفلى الشمال الشرقى من هدية فى منطقة السيداما، وهى أضعف الممالك الاسلامية حالاً وأقلها خيلاً ورجالاً .، وأهلها مسلمون على المذهب الحنفي ومعاملتها بالمبادلة. القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٢٩ محمد عبد الله:المرجع السابق ،ص٢٠٩.

(٣) سواكن : بلد مشهور وميناء يقع في شمال غرب السودان على ساحل البحر الأحمر ،وقد كانت في الأصل جزيرة سواكن بالقرب من البحر، ثم توسعت إلى ما جاورها ، وتقع بالقرب من ميناء عيذاب التى تأتى إليه السفن من جده. ياقوت الحموى: معجم البلدان ،ج٣ص٢٧٦؛ صلاح الدين الشامى : جغرافية السودان الطبيعية ، ص١١٩.

(٤) دهلك اسم أعجمي معرب وهي جزيرة في بحر اليمن ، وغربى مدينة حلى اليمنية، وهى الآن أحد الجزر الإرترية في البحر الأحمر ، على مقربة من ميناء مصوع.. ياقوت الحموى: معجم البلدان ،ج٢ص١٥٧؛ عثمان صالح سبي ، تاريخ ارتريا ، ط.١٩٨٤م، ص١٣١.

ذلك مائة واثني عشر(١) حرفاً سوى حروف أخر مستقلة بذاتها لا تفتقر إلى حرف من الحروف المذكورة مضبوطة بحركات متصلة بالحرف لا منفصلة عنه .هكذا كان لرتيب هذه البلاد ومنها سابقين ومنها ما زال بزوال الدول وقيام دول سواها سنة الله في الذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنة الله تحويلا .

ذكر الدولة القائمة(بحذاء) النصارى من الحبشة:

أعلم أن هذه الدولة قام بها قوم من قريش فمنهم من يقول هم من بنى عبد الدار[٢]، ومنهم من يقول لبنى هاشم ثم من ولد عقيل بن أبي طالب قدم أولهم من الحجاز، ونزلوا أرض "أوفات"[٣] التي تعرف اليوم جبرت أو جبرة[٤] ،وهى من أراضى الزيلع، واستوطنوها وأقاموا بمدينة أوفات، وعرف جماعة منهم بالخير،

---

(١) ذكر المؤلف أن مجموع حروف اللغة الحبشية مائة واثنى عشر "ألفا"، بينما ذكر القلقشندى أن مجموع حروفهم مائة واثنين وثمانين حرفاً. القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٠٢.

(٢) أنجب قصي بن كلاب ثلاثة أولاد هم: عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزى، ولما كبر قصي فوض أمر الوظائف التي كانت إليه من رئاسات قريش وشرفها من الرفادة والسقاية والحجابة واللواء والندوة إلى ابنه عبد الدار، وكان أكبر ولده، وإنما خصه بها كلها لأن بقية أخوته عبد مناف، وعبدالعزى كانوا قد شرفوا في زمن أبيهم، وبلغوا في قومهم شرفا كبيرا، فأحب قصي أن يلحق بهم عبد الدار في الشرف فخصه بذلك، فكان أخوته لا ينازعونه في ذلك. وبعد وفاة قصي تولى عبد الدار هذه المهام، وورثها أبناؤه عنه، ولكن سرعان ما نازعهم عليها أبناء عبد مناف بن قصي وهم: عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل فقد رأوا أنهم أجدر وأقدر من أبناء عبد الدار، واتفقوا على أن يتولى بنو عبد مناف بن قصي السقاية والرفادة ،وأن تكون الحجابة واللواء ورياسة دار الندوة لبني عبد الدار بن قصي، وتولى هاشم بن عبد مناف السقاية والرفادة .الطبرى : تاريخ الرسل والملوك،ج٢ص٢٤٣-٢٥٠؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ط بيروت ١٩٨٧،ج٢ص١٦٥.

(٣) كرر المؤلف كلمة جبرت بدلا من أوفات ، وتم التصويب من القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٢٥.

(٤) التكملة من أبى المحاسن : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى،ط٢٠٠٢، ج٩ص٢٢٨.

ولاية عمر ولشمع ٦٨٤هـ(١٢٨٥م):

واشتهروا بالخير والصلاح[١] إلى أن كان منهم عمر[٢] الذي يقال لـه ولشـمع ولاه الحطّى مدينة أوفات وأعمالها، فحكم بها مدة طويلة، وصارت له بها شوكة قويـة، وشـكرت سيرته حتى مات وترك أربعة أولاد أو خمسة ملكوا أوفات من بعده واحداً بعد أخـر منـهم(بزداو[٣]) ومنهم حق الدين الأول حتى كان أخرهم صبر الدين محمد بن ولخى بن منصور بـن عمر(ولشمع[٤]) فملك أوفات في حدود سنة سبعمائة من سنى الهجرة ،وطالت مدته فلمـا مات قام ابنه على بن صبر الدين محمد بن عمر.

ولاية على بن صبر الدين وابنه أحمد:

واشتهر ذكره في البلاد، وخرج عن طاعة الحطّى ،ثم عاد إليها فإن أهل البادية لم توافقه بل خالفت عليه، فولى الحطّى سيف أرعد ابنه أحمد، ويعرف بحرب أرعد بن على بن صبر الدين محمد بن عمر (ولشمع) على مدينة أوفات وأعمالها وقبض على علّى صبر الدين محمـد[٥] ، وأنزله عنده بمكان هو وأولاده ، فأقام على بن صبر الدين عند الحطّى نحو ثمانى سنين، ثم رضى عنه، وأعاده إلى ولايته على مدينة أوفات، وقد سار ابنه أحمد حرب أرعد إلى الحطّى ، فألزمه أن يقم ببابه، فأقام في خدمته، ووُلد له هناك ثلاثة أولاد منهم سعد الدين محمد ثم أن الحطّـى رضى عليه، وكتب الى أبيه علّى يأمره أن يوليه موضعاً من أعمال جبرت، فأمتثل لذلك وولاه

---

(١) وردت فى الأصل (لصلاح)، واضيفت الواو والألف لسياق المعنى.

(٢) كان عمرولشمع أحد تجار أوفات الأوفياء ولاه الحطّى عام ٦٨٤هـ مدينة أوفات وأعمالها،ثم ما لبث أن ضم مملكة شوا إلى سلطانه ،وذلك بعـد أن اتفـق مـع ملـك امحـره " يكونـو أمـلاك " (669-684هـ/١٢٧٠-١٢٨٥م) على بذل العون له ومساعدته على القضاء على ثورات قبائل الاجوية ليعتلـى عرش الحبشة فى مقابل أن يسمح له بالاستيلاء على الممالك الاسلامية، وأن يكون الحكم لأبناء عمر من بعده. محمد عبد الله: انتشار الاسلام فى شرق افريقيا ، ص٢٠٠.

(٣) وردت اسم (بزف) فى المنهل الصافى، ج٩ص٢٢٩.

(٤) غير واضحة فى الأصل والتصويب ما بين القوسين.

(٥) ساقطة من الأصل ، والتكملة من المقريزى: السلوك،ج٧ص٢١٤.

عملاً من أعماله، فسار إلى ذلك العمل، وأقام به مدة إلى أن قتل في بعض حروب رعيته، فقام في موضعه أخوه بكر بن على .

وكان أحمد حرب أرعد قد ترك بمدينة أوفات ولداً يقال له حق الدين، وقد اشتغل بطلب العلم ،وصار مطروح الجانب لأعراض جده على بن صبر الدين عنه، وهجره إياه مع معادات عمه مُلاّ أصفح[1] بن على له العداوة الشديدة ،ومقته المقت الزائد ثم أنه أخرجه من مدينة أوفات إلى بعض أعمالها، وألزم والى تلك الجهة أن يُهينه ،ويستخدمه فأخرجه والى الجهة الى جباية مال تلك النواحى .

ولاية حق الدين بن أحمد حرب أرعد:(٧٥٦ - ٧٧٦هـ):

فأخذ حق الدين عندما صار إلي (ما ولاه [2]) في تدبير أمره، وإحكام عمله، وجمع الناس عليه حتى قوى جانبه، وأظهر الخلاف على من ولاه، فسار إليه وحاربه فانتصر عليه حق الدين وقتله، وغنم منه ما كان معه ،وضم إليه من كان معه من المقاتله، وبذل لهم المال ، فقامت قيامة عمه مُلاّ أصفح، وكتب إلى الحطّى يخبره الخبر، ويطلب منه النجدة لمحاربته، فأمده الحطّى سيف أرعد بعسكر يقال أن عدته ثلاثون ألفا فلقيهم حق الدين، وقاتلهم قتالاً شديداً أيده الله عليهم حتى قتل منهم خلقاً كثيراً ، وغنم مامعهم، وهزم عمه، وقد شهد الوقعه فسار في هزيمته إلى الحطّى ،فبعث معه عساكر عظيمة جداً، فتلقاهم حق الدين، وقاتلهم فقتل عمه مُلاّ أصفح بن على بن صبر الدين محمد بن ولشمع، واستأصل حق الدين العساكر فلم ينج منهم إلا القليل ،وغنم ما معهم، وسار إلى مدينة أوفات، وبها جده على بن صبر الدين، وقد اشتد حزنه على ولده مُلاّ أصفح فإنه كان أعز أولاده عنده ،وكان هو القائم بأمر الدولة وتدبير الأمور، وتزايد مع ذلك حنقه على حق الدين وبغضه إياه إلا أن ضرورة الحال اقتضت كفه عنه لعجزه عن مقاومته، فتأدب حق الدين مع جده، وأقره علي ولاية أوفات فأمده عند ذلك بمال حمله إليه ، وسار حق الدين بمن معه عن أوفات، وأخرج معه أيضا أهلها ونزل أرض

---

(١) مُلا أصفح لقب أحد أولاد على بن صبر الدين محمد

(٢) فى الأصل " وليه " والتصويب ما بين القوسين.

شوا[١]، وبنى هناك مدينة سماها[٢] (وحل) وأنزل بها أوفات [٣]،وجعلها دار ملكه فتلاشت من حينئذ مدينة أوفات وتضعضعت[٤] حتى خربت .

وكان حق الدين هذا أول من خالف من أهل بيته على الحطّى ملك أمحره من الحبشة الكفرة، وخرج عن طاعته، وهو أول من استبد منهم بالأمر، ومازال يحارب الحطّى وعساكره، ويأسر منهم، ويغنم إلى أن مات الحطّى سيف أرعد ، وقام من بعده بأمر الحبشة الحطّى (داريت[٥]) وهو داود بن سيف أرعد فاستمر حق الدين على محاربته أيام ،والله يؤيده[٦] بنصره على أمحره بحيث أنه كان له فيهم بضع وعشرون وقعة في مدة تسع سنين، آخرها أنه سار إليهم ،وقاتلهم قتالا شديداً إلى أن استشهد فى سنة ست وسبعين وسبعمائة بأرض شوا، ولم يوجد مع القتلة، وكانت مدة سلطنته نحو عشرون سنة. وكان شجاعاً مقداماً قوى النفس عجولاً مُهاباً.

---

(١) شوه أو شوا : تأسست هذه الإمارة في سنة ٢٨٣هـ على يد أسرة عربية مخزومية،وقد استطاع مؤسسو هذه الإمارة الاختلاط بالسكان المحليين فكسبوا ثقتهم وودّهم، وقد ازدهرت وانتعشت الحركة التجارية بسبب موقعها الفريد لأنها كانت تقع على طرق القوافل التجارية ، وقد وقعت فى أيدى أصحاب إمارة أوفات الإسلامية سنة٦٨٨هـ ، ويحد اقليم شوا من الشرق مدينة أوفات ومن الجنوب اقليم فتجار. محمد عثمان أبوبكر :المثلث العفري في القرن الإفريقي ، ط القاهرة 1996 م، ص٧. رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة، ص ١٦-١٧.

(٢) كرر الناسخ كلمة " سماها " مرتين ، فحذفت أحدهما.

(٣) يقصد أهل أوفات أى قام بنقلهم إلى عاصمته الجديدة.

(٤) ضَعَضعتْ. أي هُدمت حتَّى الأرض. المعجم الوجيز.

(٥) ساقطة من الأصل والتكملة من أبى المحاسن :المنهل الصافى، ج٨ص٢٣٠.

(٦) تم اضافة الهاء إلى يؤيد لسياق المعنى.

ولاية سعد الدين محمد بن أحمد :(٧٧٦ــ٨٠٥ هـ)[١]:

وقام من بعده أخوه سعد الدين محمد[٢] أبو البركات بن أحمد[٣] بن على بن صبر الدين محمد ولخوى بن منصور بن عمر ولشمع، فمضى على سيرة أخيه حق الدين في جهاد أمحره الكفرة لكن تودده وسياسته الحسنة أكثرت عساكره ،وتعددت غاراته، واتسعت مملكته، فقاتل مرة في اثنين وسبعين فارساً فكسرهم، ثم ظفر به العدو، وبعد ذلك في موضع يقال له أهبره، وربطوه وساقوه إلى كبيرهم، فأدركه أحد فرسانه، وقتل من معه حتى خلّصه من أيديهم وأركبه فرسه ،ورده إلى أصحابه فجمعهم ، وجد في قتال أمحره، ولقى (بارو[٤]) من أمراء الحطّى، وهزمه وأسر من معه حتى بيع كل عبدين من الأسرى بفصيله[٥]، ومضى من فوره إلى (زلان) ففتح تلك البلاد، وغنم أموالها فبلغت حصته لخاصة نفسه أربعين ألفا فرقها جميعها على الفقراء والمساكين،وعلى العسكر حتى لم يجد ما يأكله الى أن اطعمته إحدى زوجاته.

وحصل لسليم بن عباد زوج ابنته اثنى عشر ألف بقرة ، فأمره أن يخرج منها زكاتها فامتنع فتغير عليه فأرسل الله تعالى عليه الكفره فأخذوه وما معه فلم يفلت منه سوى زوجته ابنة سعد الدين بحيلة تداركها الله فيها بلطفه. وغزا أيضا بلاداً تسمى زمدوه في أربعين فارساً، وبها من الكفرة أعداد لا تحصى فكانت بينه وبينهم مقتله عظيمة نصره الله فيها نصراً عزيزاً، واغتنم

---

(١) كان عهد سعد الدين من أطول فترات الحكم ، حيث استمر حكمه قرابة ثلاثين عاماً ، وكان من أشهر سلاطين أوفات حيث كثرت مآثره وتعددت مواقفه ، وكثرة حروبه ،ولما توفى دفن في جزيرة قرب زيلع سميت بجزيرة سعد الدين ،تخليداً لذكراه .وقد ترجم له كثيرا من المؤرخين.ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج٩ص٧٦؛ السخاوى :الضوء اللامع، ج٧ص١٦.

(٢) ورد فى الضوء اللامع إنه كان محبوسا من قبل أخيه حق الدين، فلما توفى حق الدين فى سنة ٧٧٦هـ ، أُفرج عنه، وتولى أمور الحكم .السخاوى: الضوء اللامع،ج٧ص١٦.

(٣) وردت فى الأصل (محمد) والتصويب(أحمد) المعروف بحرب أرعد. أبوالمحاسن: المنهل الصافى، ج٨ص٢٣٠؛.المقريزى: السلوك،ج٧ص٢١٦.

(٤) ساقطة فى الأصل، والتكملة من ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب ، ج٩ص٧٦.

(٥) أغلب الظن أنها نوع من وسائل المعاملة كالدينار والدرهم أو الحكنة ــ بفتح الحاء وضم النون والكاف ــ وهى قطعة من الحديد فى طول الأبرة ولكنها أعرض منها ثلاثة مرات كانوا يستخدمونها كعملة فى بلاد الحبشة إلى جانب النقود المصرية التى تصلهم صحبة التجار. القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٥ص٣٣١.

ما لا يدخل تحت حصر، وغزا أبالى[1] وأمحره وهم في عشرة أمـــراء كـــل أمـــير فى عشـــرة الآف[2] ، وهو في خمسين فارساً، وجميع من معه لا يبلغون عدة أمير منـــهم، فعنـــدما تلاقـــى الجمعان، توضأ هو وأصحابه ،وصلوا ركعتين، وسأل الله تعالى النصر، وهم يؤمنّـــون علـــى دعائه، ثم ركب بمن معه، وقاتلهم فهزمهم الله ونصره عليهم فقتل وأسر منهم عدد لا يحصـــى بحيث بقيت رؤس القتلى ملأ الأرض لا يجد المار موضعاً يمر به إلا عليهم، وكان بينه وبين بلاده مسافة اثنى عشر يوماً فعاد منصوراً غانماً.

وجرد مرة من أصحابه رجلاً يقال له أسد الله فى أربعين فارساً فلقيه أمير من أمـــراء الحطّى يقال زان حُشر في خمسين فارساً لابسين آلة الحرب، ومعه من العساكر الراكبين الخيل عرياً [3] عالم كبير، وكان مشهوراً بالقوة والشجاعة، فأقتتل الفريقان أعظم قتال وأشده ، فقتل الله اللعين ونصر المسلين نصراً مؤزرا، وغنموا غنائم عظيمة ،فجمع الحّطى أمحره ، ونزلوا الى بلاد المسلمين فلقيهم أمير اسمه محمد في ستة فرسان ونحو ألف راجل فقاتلوهم قتـــالا عظيمـــا شديداً استشهد فيها الأمير محمد ومن معه، ولم يسلم منهم سوى فارس واحد ، فجرد الحطّى أميراً يقال له بارو فلقيه سعد الدين بنفسه ،ومعه الفقهاء والفقراء والفلاحون، وجميـــع أهـــل البلاد، وقد تحالفوا جميعا على الموت، فكانت بينهما وقعة شنيعة استشهد فيها مـــن المشـــايخ الصلحاء أربعمائة شيخ كل شيخ منهم له عكاز، وتحت يده من الفقراء المساكين عدد عظـــيم فاستمر القتل في المسلمين حتى هلك أكثرهم ،وانكسر من بقى، وفر سعد الدين على وجهه،

---

(١) أبالى: من بلاد الزيلع وتقع في أقصي الجنوب منها بالقرب من نهر شبيللي ، ومذهب ســـكانها الحنفيـــة. وكانت أكثر الأمارات خصباً وأطيبها هواءاً . القلقشندى : صبح الأعشـــى ،ج٥ص٣٢٩؛ محمـــد ســـعيد ناود، العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي ، ص٩٣ .

(٢) يبلغ عدد الجيش الحطى ملك الحبشة الذى قدره المؤلف مائة ألف،بينما قُدرجيش حق الدين دون العشرة الآف ، ولايوجد وجه للمقارنه بين الجيشين ، واعتقد أن عدد جيش الحطى مبالغ فيه جداً حتى يظهر شجاعة سعد الدين الذى استطاع بهذا العدد القليل أن ينتصر عليه.

(٣) كان من عادتهم لايرتدون شيئاً على أجسادهم إلا الخـــواص منـــهم فقـــد كـــانوا يفضـــلون الحريـــر والأبراد.القلقشندى: صبح الأعشى ، ج٥ص٣٠٧

وأمحرة فى إثره يّتتبعه حتى إلتجأ الى جزيرة زيلع في وسط البحر[١]، فحصروه بها ومنعوه الماء إلى أن دلّهم بعض من لا يتقى الله على الوصول إليه، فلما وصلوا إليه قاتلهم فأصيب في جبهته بعد فقده الماء ثلاثة أيام ، فخر إلى الأرض فطعنوة فمات رحمه الله وهو يتشهد ويضحك ،وذلك في سنة خمس وثمانى مائة[٢].وقد ملك نحواً من ثلاثين سنة، وكان رجلاً صالحاً، وفى أيامه مات جده على بن صبر الدين في سجن الحطّى بعد ما أقام مسجوناً نحو الثلاثين سنة[٣].

ولما قتل سعد الدين ضعف المسلمون بموته ،واستولى الحطّى ، وقوم أمحره على البلاد وسكنوها، وبنوا بها الكنائس، وخربوا المساجد، وأوقعوا بالمسلمين وقائع نزل بهم فيها من القتل والأسر[٤] والسبي فاق مالا يمكن التعبير عنه مدة عشرين سنة، وكان أولاد سعد الدين قد فروا إلى بلاد اليمن[٥] ،وهم عشرة أكبرهم صبر الدين على، فأكرمهم الملك الناصر أحمد[٦]

---

(١) بعد قتل سعد الدين فى جزيرة زيلع تغير اسمها إلى جزيرة سعد الدين ، وهى جزيرة من جزائر اليمن.ياقوت الحموى: معجم البلدان،ج٣ص١٦٤؛ رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، ص ٤٦.

(٢) ذكر المقريزى فى السلوك أنه توفى بعد سنة ٨١٠هـ ، بينما ورد فى نزهة النفوس للصيرفى أنه توفى فى سنة ٨١٦هـ، أما أبو المحاسن فقد ذكر انه توفى سنة٨١٥هـ أما ابن العماد الحنبلى فقد أورد انه توفى سنة ٨٠٥هـ.وكان سعد الدين قد تولى الحكم فى سنة ٧٧٦هـ ، وقد أكدت المصادر السالفة الذكر أنه ظل فى الحكم لمدة ثلاثين سنة تقريبا أى ما ذكره المقريزى فى المخطوطة أقرب إلى الصواب. المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج٧ص٢١٥. الصيرفى:نزهة النفوس والأبدان ، ج٣ص٢٠٤. أبو المحاسن :المنهل الصافى، ج٩ص٢٣٠. ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب ،ج٩ص٧٦.

(٣) ذكر المؤلف سابقاً أنه سُجن ثمانى سنوات لدى الحطى ملك الحبشة .انظر ص٢٩.

(٤) كرر الناسخ كلمة (الأسر) مرتين فتم حذف إحدهما.

(٥) وردت فى الأصل العرب والتصويب " اليمن " . المقريزى: السلوك،ج٧ص٢١٦. أبوالمحاسن: المنهل الصافى، ج٩ص٢٣٠؛السخاوى: الضوء اللامع،ج٧ص١٥٣.

(٦) تُعد دولة الرسوليين التي اتخذت من تعز عاصمة لها من أطول الدول عمراً في تاريخ اليمن الوسيط إذ استمرت قرنين وثلث القرن (٦٢٦-٨٥٨هـ) امتد سلطانها من اليمن حتى الحجاز وحضرموت ، وحكمها خمسة عشر ملكاً ، أما الملك الناصر صلاح الدين أحمد بن الملك الأشرف فهو ثامن ملوك الدولة الرسولية، بويع للملك في عهد أبيه في سنة ٨٠٣ هـ، وتولى مقاليد الحكم حتى وفاته سنة٨٢٧هـودفن بمدرسة والده . ، ص١١٩.أبو المحاسن : الدليل الشافى ،ج١ص٤١،.السخاوى: الضوء اللامع،ج١ص٢٣٩. ابن العماد

بن الأشرف اسماعيل ملك اليمن وأنزلهم، ثم جهزهم، وأقر لهم ستة أفراس[1] ، فخرجوا إلى موضع يسمى " سيارة " حتى فتح الله عليهم، ولحق بهم عساكرهم .

ولاية صبر الدين على بن سعد الدين محمدبن أحمد:(٨١٧ــ٨٢٥هـ)[2]:

وقام بأمرهم صبر الدين على وزحف لقتال أمحره في سبعة من الفرسان سوى المشاه ، وقاتل في موضع يقال له دكر[3] أمحره،وهم في ثمانين فارساً فهزمهم، واستولى على ذلك الموضع، وسار إلى سرجان، وقاتل من هناك ،وكسرهم وحرق كنايسهم وبيوتهم، وغنم من الذهب وغيره ما لا يحصى ،ومازال ينتصر (على[4])أمحره حتى اجتمعوا عليه، وصاروا في عشرة أمراء تحت يد كل أمير زيادة على عشرين ألفا، ومقدمهم يقال له "بحت بقل" فملكوا بلاد المسلمين، وأقاموا بها سنة ،وصبر الدين ومن معه فارين من بلد إلى بلد ،وبهم من الجوع والعطش والتعب ما لا يوصف ثم أيده الله وقواه حتى جرد أخاه محمد ومعه حرب جوشن[5]، وغيره من الأعيان في عشرين فرساً إلى بلد يقال لها " رطوا " فقاتلوا أمحره[6] قتالاً عظيماً قتل

الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب،ط.بيروت،ج٧ص١٧٧ بوزورث: معجم الأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ،ط القاهرة١٩٩٥م،ص١٧٦.

(١) أفراس : جمع فرس وهو الخيل . المعجم الوجيز.

(٢) انظر ترجمتة فى كل من شذرات الذهب:ج٩ص٢٤٨؛ الضوء اللامع،ج٥ص٢٨٣.

(٣) ذكرت المصادر أنه لما عاد أولاد سعد الدين من اليمن اتخذوا من مدينة دكر عاصمة لملكهم نظراً لبعدها عن عدوهم الحطى ملك الحبشة ، وتقع مدينة دكر فى شرق الحبشة على بعد٣٦كم من شرق مدينة هرجيسا الحالية، وقيل إنها تقع جنوب شرق مدينة هرر، وكانت مركزاً من مراكز التجارة.محمد عبدالله: الاسلام فى شرق افريقية،ص٢٢٢ ؛ فتحى غيث : الحبشة عبر التاريخ ، ص١٦٦.

(٤) غيرموجودة فى الأصل ، وتم اضافة (على) لسياق المعنى.

(٥) حرب جوشن أحد قادة جيش الحطّى ملك الحبشة الذى أعلن إسلامه وانضم إلى المسلمين. الصيرفى:نزهة النفوس والأبدان ، ح٣ص٢٠٤.

(٦) رغم أن أمحره مقر حكم ملك الحبشة إلا أن المؤلف قصد هنا بأمحره ملك الحبشة نفسه.

منهم مقدمهم في عدة من أمراء الحطّى، وقتل من عسكرهم ما لا يحصى،وهزموا بقاياهم، وغنموا غنائم كثيرة، وملكوا البلد زمانا، ثم صار صبر الدين بنفسه ،وطلع إلى بيت الملك، وقاتل أمحره، وقتل أميراً كبيراً ،وحرق بيت الملك، وأكثر في قتل من هناك، وعاد ثم جرد أخاه إلى قلعة بروت ففتحها صلحاً، وعاد منصوراً ثم جرد أميراً اسمه عمر، ومعه ستة فرسان إلى بلد "لجب"، وأمحره فى عدد كالجراد، فكانت بينهم وقعة عظيمة قاتل فيها المسلمون قتالاً شديداً حتى ماتوا كلهم ، وقد صارت المراريق[١] تأتيهم كالمطر من كثرتها ، ثم قُطعوا بالسيوف رحمة الله عليهم ، وشهد صبر الدين مرة وقعة كاد العدو أن يأخذه[٢] قبضاً باليد فنجا بفرسه ، وقد اعترضه واد عرضه عشرة أذرع فوثب بفرسه ، وخلصه الله منهم ، ومازال يلبى أمر المسلمين إلى أن مات على فراشه مبطوناً[٣] رحمه الله بعد ثمان[٤] سنين فى حدود سنة خمس وعشرين وثمانى مائة، وكانت سيرته مشكورة.

سيرة منصور بن سعد الدين على(٨٢٥ــ٨٢٨هـ):

فقام بالأمر بعده أخوه منصور بن سعد الدين[٥] وعضده أخوه محمد، وسار إلى جداية[٦]، وهى دار ملك الحطّى ،وبها صهره فقاتله حتى أخذه أسيراً ،وقتله فى عدة كبيرة، فألتجا نحوالثلاثين ألفا إلى جبل يقال له " منحا " فحاصرهم فيه زيادة على مدة شهرين يقاتلهم كل يوم حتى كلّوا وجاعوا وعطشوا ، فنادى فيهم يخبرهم بين الدخول فى دين الاسلام، وبين اللحاق بقومهم، فأسلم نحو العشرة الآف ، ونزلوا إليه من الصبح إلى غروب الشمس، وسار من الفريقين إلى بلادهم ، فغنم من الخيل مائتى فرس عربية ، وأقام عشرة أيام ، وجمع أمحره ،

---

(١) المراريق : مفردها مارق وهو المفسد أى المفسدون .ابن منظور: لسان العرب.

(٢) تم اضافة الهاء إلى الفعل "اتخذ " لسياق المعنى.

(٣) المَبْطونُ : العليل البَطْنِ أَي الذي يموتُ بمَرَض بَطْنه كالاسْتِسْقاء ونحوه. المعجم الوجيز

(٤) وردت " تسع" فى أبى المحاسن : المنهل الصافى ،ج٩ص٢٣١.

(٥) ساقطة من الأصل ، والتكملة من المقريزى: السلوك ، ج٧ص٢١٥. الصيرفى:نزهة النفوس والأبدان ، ج٣ص٢٠٥.

(٦) أحد أقاليم الممالك الاسلامية الصغيرة التى كانت على ساحل بلاد الحبشة ، وقد استطاع عمر ولشمع الاستيلاء عليها ، وضمها إلى بلاده. محمد عبد الله: انتشار الإسلام فى شرق ، ص٢٠٠.

وأتوه فى عدد[١] كالجراد المنتشر من كثرتهم ، فقاتلهم أشد قتال حتى كلت الفرسان هى وخيولها من شدة الحرب ، وقتل عشرة من أمراء المسلمين، فوقع منصور وأخوه[٢] فى قبضة الحطّى[٣] إسحاق المدعو أبرم بن داود سيف أرعد ، فكاد يطير من الفرحة وقيدهما وسجنهما، ووكل بهما، وذلك فى سنة ثمانى وعشرين وثمانمائة لسنتين من ولاية منصور، واستولى النصارى من أمحره على البلاد كما كانوا.

جمال الدين محمد بن سعد الدين(٨٢٨ــ٨٣٥هـ)[٤]:

وعندما قبضوا على منصور قام بالأمر فى الحال أخوه جمال الدين محمد بن سعد الدين وهو ضعيف ، وقد بقى من الأمراء حرب جوشن ، وكان من أمراء الحطّى فأسلم فى أيام سعد الدين ، وقدم إليه فصار من أكابر الأمراء لعونه وشجاعته وكثرة أتباعه ، فخرج على جمال الدين البرابر[٥]، فوجه إليهم حرب جوش فعرض عليهم الصلح، وقد جمعوا له جمعاً فيه سبعة

---

(١) وردت فى الأصل "عدده " والتصويب عدد.

(٢) لم يذكر المؤلف اسم أخى منصور الذى وقع فى قبضة الحطّى ملك الحبشة، بينما ذكر المقريزى فى السلوك وأبو المحاسن فى المنهل الصابى ،والصيرفى فى نزهة النفوس ، أن أخاه محمداً هو الذى وقع فى أسر الحطى. المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج٧ص٢١٦ أبوالمحاسن: المنهل الصافى، ج٩ص٢٣١؛ الصيرفى:نزهة النفوس والأبدان ، ج٣ص٢٠٥ .

(٣) يذكر الصيرفى أنه لما وقع منصور وأخوه محمد فى أسر الخطى قيدهما ، ورجع بهما إلى مملكته، ولما قرب من الدخول إلى ملكه ، أركب المنصور كهينته فى مملكته ، وسار فى العسكر حتى دخل المدينة ، فأنزله وأخاه محمداً فى دار يليق بهما، وأجرى عليهما ما يحتاجان إليه ،ووكل بهما من يحفظهما من الحراس. الصيرفى:نزهة النفوس والأبدان ،ج٣ص٢٠٤.

(٤) ترجم للأمير جمال الدين أبو البركات محمد العديد من المؤرخين .الشوكانى: البدر الطالع،ج٢ص١٤٢، السخاوى : الضوء اللامع ، ج٧ص١٥٤؛ ابن حجر ، إنباء الغُمر، ج٣ص٤٨٨. الصيرفى:نزهة النفوس والأبدان ،ج٣ص٢٠٤-٢٠٥. أبوالمحاسن: المنهل الصافى، ج٩ص٢٢٨-٢٣١.

(٥) البربر:اسم جنس ذو أصل لاتيني أطلقه الإغريق على كل من لا يتكلم الإغريقية من القبائل الأوروبية والأفريقية ، وشاع إطلاق لفظ "البربر" على ألسنة العرب من بعد الرومان. ولا زال هذا المصطلح يطلق على سكان شمال أفريقيا ، ولكن هنا يقصد سكان بربرة وهي مدينة تقع شمال غرب الصومال والمنطقة المحيطة بها، وكان السبب فى حربهم رفضهم دفع الزكاة ، فجرد لهم جمال الدين قائده حرب = = =

الآف قوس وسيف، فأبوا إلا محاربته وهو مواقفهم من الصبح إلى الظهر ثم قاتلهم قتالاً عظيماً حتى هزمهم الله إلى بيوتهم ، وهو فى أقفيتهم [١]. وانقادوا لأمره ، ودخلوا فى طاعته،ودفعوا له زكاة أموالهم ، وعاد مؤيداً منصوراً ظافراً، ثم بعث حرب جوشن إلى بلاد بالى فى عشرين فارساً فلقى أمحره ، وهم فى عدد عظيم لم يجتمعوا فيما مضى منهم ، فقاتلهم أشد قتال فانتصر عليهم، وعاد فجمع الحطّى عساكر كثيرة جداً ،ونزل جداية[٢] ، فصار إليهم جمال الدين وعاد منصوراً ، وتوجه إلى أمحره رجاله، وقد استطال الحطّى، وجمع عليه نحو مائة أمير، وعزم على أن لايبقى بالحبشة مسلماً فلقيه جمال الدين فى خمسمائة فارس، وقد جمع الحطّى من الفرسان مالا يحصى كثره، فكانت بين الفريقين وقعة عظيمة قتل الله أمحره وهزم باقيهم ، وركب جمال الدين أقفيتهم ، وهو يشبعهم ثلاثة أيام، وهو يقتل ويأسر حتى أمتلأت الأرض بالقتلى، وحرق كنايسهم والبيوت، وسبى النساء والأولاد وغنم الأولاد الموال[٣] حتى بلغت عدة الخيول المسلمة التى اغتنمها زيادة على مائة فرس، أما الخيول العراه فلا تحصى لكثرتها ، وأقام فى هذه الغزوة ثلاثة أشهر.

وبعث حرب جوشن إلى بالى فقتل وأسر وسبى ما لا يحصى ،وغنم غنائم عظيمة حتى صار يعطى كل فقير ثلاثة رؤوس من الرقيق، ومن كثرتهم بيع الرأس من الرقيق بربطة ورق[٤]، ورجع منصوراً غانماً .

جوشن. محمد عبد الله: انتشار الاسلام فى شرق ، ص٢٠٥.

(١) أقفيتهم : ورائهم وخلفهم .ابن منظور: لسان العرب.

(٢) أحد أقاليم الممالك الاسلامية الصغيرة التى كانت على ساحل بلاد الحبشة ، وقد استطاع عمر ولشمع الاستيلاء عليها ، وضمها إلى بلاده. محمد عبد الله: انتشار الإسلام فى شرق ، ص٢٠٠.

(٣) الموال هو المكان الذى يلجأ إليه الفارين . ابن منظور: لسان العرب.

(٤) أكد كل من ابن حجر والسخاوى ما قاله المؤلف من بيع الرقيق بربطة ورق وغيره. وأغلب الظن أن المؤلف يقصد بربطة الورق هنا أوراق القات الذى يُزرع فى بلاد الحبشة، ويتميز بجودته العالية، وهي شجرة لا تعطي ثمارا، وإنما يقبل أغلب سكان الحبشة على مضغ أوراقها الصغيرة التى تحتوى على مادة منبهة تسمى الكاثين، وهى مادة ذو مفعول منشط للجهاز العصبى ، وتعتبر هذه العادة مضرة بدرجة كبيرة من الناحية الاقتصادية إذ أن زراعة شجرت القات بكثرة جعلها تتسع على حساب الزراعات الأخرى ، ويباع القات فى بلاد الحبشة فى شكل" القرف " الذى يحتوى على لفافتين من هذا النبات بحجم ربطة البقدونس،

وصار جمال الدين بنفسه" لغزو " [1] أمحره فى جمع عظيم لم يجتمع لأباءه قبل، ومعه ألف فارس، وهو يقتل ويأسر ويسبى ويغنم والحطّى بجموعه هارب منه، وهو فى طلبهم يتتبعهم خمسة أشهر حتى وصل إليهم فلم يقاتله الحطّى،وهرب منه إلى رأس بحر النيل، فعاد جمال الدين بغنائم لا تحد ولا تعد حتى جد أخاه أحمد، والأمير جوشن إلى دوارو ،وأوقعا بأمحره وقائع عديدة وأسرا منهم ثلاثة أمراء، وغنما ستين فرساً وغنائم كثيرة، وعادا بأعز نصر، ثم صار جمال الدين بنفسه يقتل ويأسر مسافة عشرين يوماً، فتفرقت أمحره[2] فى ثلاثة مواضع تريد أن تاخذ بلاد جمال الدين وعياله، فعاد مسرعاً ، يريد لقاؤهم فقطع مسافة عشرين يوماً فى سبعة أيام حتى لقيهم فى بلاد تسمى"هواى" وقد تعب هو وأصحابه تعباً كبيراً ، والعدو مستريح فكانت بينهم وقعة عظيمة ومن كثرة الجموع وشدة القتال اختلط الناس، فما كان أحد يعرف صديقه من عدوه، ثم أنزل الله نصره على المسلمين ،فأخذوا جانباً من أمحره ،وانتصر أمحره أيضا ،وأخذوا جانباً من المسلمين ،وغنم كل منهم ما حازه، ثم ثار على جمال الدين بنو عمه وحسدوه وقتلوه فى جمادى الآخره سنة خمسة وثلاثين وثمانمائة وله فى السلطة سبع سنين، وكان من خير ملوك زمانه دينا ومعرفة وقوة وشجاعة مهابة وجهاداً فى أعداء الله بحيث أنه ملك كثير من بلاد الحطّى[3]، وأعماله ودخل جماعات من عمال الحطّى ورجاله فى طاعته، وقتل وأسر من أمحره مالاً يدخل فى حصر ، حتى امتلأت بلاد السند واليمن وهرمز والحجاز ومصر والشام والعراق وفارس[4] من رقيق الحبشة الذين أسرهم وسباهم فى غزواته ، وما زال مؤيداً من الله تعالى،

ويقبل =سكان الحبشة على شرائه بشراهة.ابن حجر: إنباء الغُمر بأنبار العُمر، ج٣ص٤٨٧. السخاوى: الضوء اللامع،ج٧ص١٥٣.صلاح ابو زيد : الزراعة والموارد المائية فى شرق افريقيا،ط القاهرة١٩٨٤م، ص١٤٨.

(١) وردت فى الأصل غزوة، والتصويب ما بين القوسين.

(٢) قصد هنا بأمحره أهل مدينة أمحره ،وليس ملك أمحره كما كان من قبل.

(٣) أشاد ابن حجر فى ترجمة جمال الدين محمد بكثرة جهاده وغزواته أمام مللك الحبشة اسحاق بن داود ابن سيف أرعد الذى مات أثناء فترة حكم جمال الدين فى سنة ٨٣٣هـ ، كما يرجع إليه الفضل فى اسلام عدد كبير من سكان الحبشة على يده .ابن حجر: إنباء الغُمر بأنبار العُمر، ج٣ص٤٨٧-٤٨٨.

(٤) أضاف الصيرفى بلاد الروم مع البلاد التى ذكرها المؤلف. الصيرفى:نزهة النفوس والأبدان ج٣ص٢٠٤.

ومنصوراً على أعداء الله حتى ختم له بالحسنى ، وكتب الله له بالشهادة، وكان يصحب الفقهاء وأهل الفقر من الصالحين، وينشر العدل فى أعماله حتى فى أهله وولده.

ولقد بلغ فى عدله أنه لعب بعض صغار أولاده ذات يوم مع أنداده وأترابه [1] من الولدان، فضرب صغيراً منهم كسر يده ، ولم يبلغ جمال حتى مضت مدة فأشتد فى الإنكار على خدمه إذ لم يعلموه، وطلب أولياء الصغير الذى كُسرت يده وعاتبهم على إخفاء هذا عنده، وجمع أهل دولته، وطلب ابنه الجانى الصغير فى كسر يده ليقتص منه ، فقام أعيان دولته وأمراؤهم بين يديه يضرعون إليه فى العفو، وإنهم يرضون أولياء الصغير فلم يفعل ،وأبى إلا احضار ولده فأُحضرإليه فلما قدم ليقتص منه ضج الجميع بالبُكاء ، وقام أوليآء المكسور وعفوا، فلم يرجع وقدم ابنه إليه، وأخذ يده بيده ووضعها على حجر، وضربها بحديدة كسرها وهو يصيح، ثم أغمى عليه، فُحمل إلى أمه، وأصوات ذلك الجمع كله على كثرته فقد ارتفع العويل والبكاء رحمة بالصغير، فكان أمراً مهولاً ، وجمال الدين مع ذلك ثابت وقائل لولده ذق كما أذقت ولد الناس.

حدثنى بهذا الخبر الثقاة الذين حضروا ذلك المجلس بين يدى جمال الدين وشاهدوه فلم يتجاسر بعد ذلك أحد من أهل الدولة أن يمد يده لمال أحد ولا استطاع بعده جليل ولا حقير أن يجنى على غيره.فكان من شدة مهابته إذا أمر بشئ أو نهى عنه لايتأخر أحد من أمرائه بل يقف الجميع عند أمره ونهيه فى جميع أعماله خوفاً من شدة سطوته ، واتقاء عقوبته ، ومناقبه عديدة ومآثره كثيرة .وجملة القول فيه أن الله أيد به الدين، وأعز بدولة الاسلام والمسلمين،وكان من جليل سعادته أن الله تعالى أهلك فى أيام دولته طاغية الكفر الخطى إسحاق بن داود بن سيف أرعد فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة.فأقيم بعد اندارس بن اسحاق فهلك لأربعة أشهر من ولايته ، فقام بأمر أمحره عمه (حربناى[2]) بن داود بن سيف أرعد فكانت أربعة ملوك فى نحو سنة، وكل ذلك يعظم فتوحات جمال الدين الجليلة، وتعدد وقائعه العظيمة ، وتكثر أعماله وعمائه وغنائمه وأسراه وقتلاه وسباه تمكيناً من الله تعالى فى الأرض،

---

(١) أترابه : أمثاله المُتَساوِين له في السِّنِّ . ابن منظور: لسان العرب.

(٢) وردت "حزنبامى " فى نزهة النفوس والأبدان. الصيرفى:المصدر السابق والمكان.

وتأييداً له بالنصر.ومع هذه الفتوحات الاسلامية فلقد أسلم على يده عالم من أمحره لايحصى عددهم هداهم الله به، وأبعدهم عن النار بيمين دولته، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

سيرة شهاب الدين أحمد بدلاى[1]:

ولما استشهد جمال الدين قام بأمر المسلمين من بعده أخوه شهاب الدين أحمد(بدلاى)، ومازال يجتهد فى تحصيل قاتل أخيه جمال الدين حتى ظفر به وقتله، وجرى على سنة أخيه فى غزو أمحره، وفتح من بلادهم عدة أعمال وقتل طاغية من أمرائهم، وحرق البلاد وغنم وقتل وأسر وسبى[2] عالماً بحيث كثرت الأموال من الذهب والفضة والثياب فى أيدى جماعته، وحازوا من الوصائف مالا يُعد ، وخرب ستة كنائس وعدة قرى ، واسترد البلاد من أيدى النصارى ورد إليها ألف من بيت المسلمين إلا أنه حدث فى أيامه سنة تسع وثلاثين وثمانمائة وباء عظيم مات فيه من المسلمين والنصارى عوالم كثيرة جداً.

وهلك فيها الحطّى وأقاموا صبيا صغيراً وهذا والسلطان بدلاى[3] مقيم فى بلاد دكر واخوه خير الدين فى بلاد وكلة، وأظهر بدلاى سيرة العدل فى مملكته وآمنت الطرق، وانكف الناس عن الظلم من العسكر وغيرهم ورخصت الأسعار فى أيامه، قال مؤلفه تغمده الله برحمته حرره جامعه ومؤلفه أحمد بن على المقريزى فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ، والله أعلم بغيبه وأحكم ،وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،وسبحان الله عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) وردت بدلان فى عقد الجمان للعينى، ج٢٣ق٢ ورقة٦٧٨، وقد سلك أحمد بدلاى طريقة أخيه جمال الدين فى غزواته وجهاده وشدته.السخاوى: الضوء اللامع، ج٣ص١٥٣-١٥٤؛ أبو المحاسن: المنهل الصافى،ج٩ص٢٣٢.

(٢) وردت فى الاصل " سبا."

(٣) استمر الامير أحمد بدلاى فى الإمارة حتى توفى فى سنة ٨٤٨هـ ابن فقيه :.فتوح الحبشة، ص٢٦.

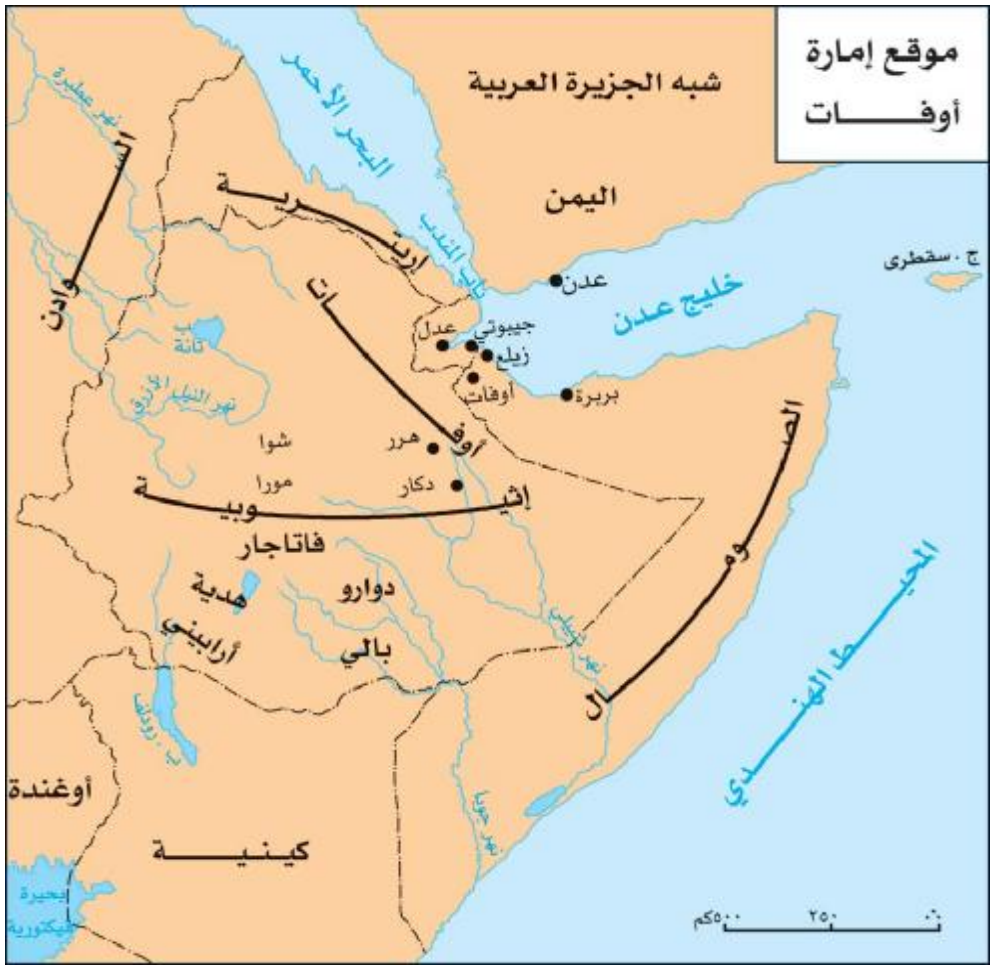
موقع إمارة
أوفـــــات
شبه الجزيرة العربية
البحر الأحمر
اليمن
باب المندب
عدن
خليج عدن
ج . سقطرى
جيبوتي
عدل
زيلع
أوفات
بربرة
هرر
دكار
شوا
مورا
فاتاجار
هدية
أرابيني
دوارو
بالي
بحيرة زواي
أوغندة
كينيـــــة
بحيرة فيكتوريا
المحيط الهندي
٠ ٢٥٠ ٥٠٠كم